

دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

جُهودُ العلَّامة الطَّاهرِ بنِ عاشور في الردِّ على شُبُهاتِ النَّصارى من خلالِ تفسيرهِ "التَّحريرُ والتَّنوير"

بحْثٌ تكمِيليٌّ لنيلِ درجةِ (الماجستير) في قسمِ التَّفسيرِ وعلومِ القرآن

اسم الباحث : جابر بن عبدالرحمن بن محمد العتيق

إشراف : الدكتور حاتم محمد منصور مزروعة
كلية العلوم الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن

العام الجامعي / ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قرار توصية اللجنة)

مـــلـــخـــص

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أمَّا بعد :

فإن من نعم الله العظيمة علينا أن جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث ختم به الرسالة ، وأنزل عليه القرآن الكريم ، وكانت أمته خير الأمم .

وإني في هذه السطور ألخص بحثي بكلمات مختصرة ، ألقي الضوء فيها على صفحات البحث وما تضمنه من فصول ومباحث.

فأقول مستعينا بالحيّ القيوم ، إن هذا البحث يعتبر جديدا في عنوانه حيث لم أسبق إليه فيما اطلعت عليه من المؤلفات التي لها علاقة بنتاج العلامة ابن عاشور –رحمه الله– ، وقد تلخص عملي في هذا البحث بكتابة ترجمة يسيرة لابن عاشور ، وتعريف بالنصارى والنصرانية ونشأة مذاهبهم ، ثم بعد ذلك التعريف بالشبهات وما لها من مدلول ، ولم أغفل الحديث عن هذا السفر "التحرير والتنوير" بما يتناسب مع حجم هذا البحث ، وألقيت الضوء على شيء من جهود أعداء الدين في إثارة الشبهات على ثوابت المسلمين ومعتقداتهم وبخاصة النصارى ،لأن ذلك من صميم البحث ، ثم بنقل كلام ابن عاشور في تفسيره الماتع "التَّحرير والتَّنوير" على الآيات الكريمات التي فيها رد على شبهة من شبه النصارى ، أو إبطال قول خاطئ لهم ، أو زعم كاذب ، فنقلت الآيات ومن ثم قمت بكتابة تفسير مختصر أبين فيه المعنى الإجمالي لهذه الآية ، وما جئت بشيء من عندي ، بل هو اختصار لكلام أهل التفسير ، وبعد ذلك كان العنصر الأهم وهو أصل البحث ، ألا وهو نقل كلام ابن عاشور على هذه الآيات ، وحرصت أن أنتقي من جملة كلامه ما له علاقة بالبحث ، وهو الرد على شبهات النصارى التي أثاروها على أنفسهم أو تلك التي صدروها إلى الإسلام والمسلمين ، ثم يلي ذلك نقل كلام الإمام القرطبي –رحمه الله– بعد كلام ابن عاشور ، وذلك لعمل مقارنة ، وسبر الفروقات بين المنهجين للتعرف على أوجه التجديد والإبداع ، وتكون الإشارة إلى هذا الأمر بعد تمام كلامهما عن الآية ، يلي ذلك الخاتمة التي بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها وما عنّ لي من توصيات ، بعدها

الفهارس العامة . وقد بنيت هذا البحث على منهج التزمته ، وسرت به على خطة عرضتها على فضيلة الشيخ الدكتور حاتم محمد مزروعة ، المشرف على هذا البحث ، فاقترح عليّ بعض التعديلات عليها ، فقمت بعمل ما رآه فضيلته وما اقترحه عليّ ، ومن ثم تم إرسال الخطة إلى الجامعة فقامت مشكورة باعتمادها وقبولها.

هذا وعلى الله اعتمادي وهو حسبي ونعم الوكيل.

شكر وتقدير

أشكر الله أولا وقبل كلّ شيء فهو صاحب المنّ والعطاء وهو أهل الشكر والثناء.

وأثنّي بالشكر لجامعتنا الغراء "جامعة المدينة العالمية" على ما فتحته لنا من أبواب العلم والمعرفة بطرق حديثة جعلت من الدراسة والتسلح بالعلم أمرا ميسورا .

ثم بعد ذلك أقدم شكري وامتناني لأستاذي فضيلة الشيخ الدكتور حاتم محمد مزروعة ، المشرف على هذا البحث ، حيث كان له من الجهد وحسن التوجيه ، وجميل المؤازرة والتشجيع ، ما ساعد على إنهائه وإتمامه.

المقدمة

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن من أعظم نعم الله على هذه الأمة أن جعل القرآن الكريم لها كتابا ، وارتضى الإسلام لها دينا ، واختار النبي الأمي الأمين محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم- لها رسولا ، فختم بهذا الكتاب كل الكتب ، ونسخ بهذا الدين كل دين مضى ، فكان نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم خاتم النبيين والمرسلين .

إن من المتقرر شرعا وعقلا أن شرف العلم بشرف المعلوم ، وإن من أشرف العلوم علم التفسير ، لأنه متعلق بأشرف كلام ألا وهو كلام رب العالمين ، القرآن الكريم.

ولا يزال علماء الإسلام الأفذاذ منذ القرون الأولى المفضلة يتعاقبون على دراسته ، ويصرفون جل أوقاتهم للنهل من معينه ، والتزود من هدايته.

هذا وإن لعلماء التفسير من ذلك أوفر الحظ والنصيب ، فهم الذين صرفوا أعلى الهمم لتدبره ، واستخراج درره ، لفهم مراد الله –عزوجل- فكان لهم في ذلك مؤلفات كثيرة ، عظيمة في قدرها ونفعها.

ومن أجلّ ما ألف في باب التفسير وخصوصا في هذه القرون المتأخرة ما خطته أنامل العلامة البارع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –رحمه الله- وقد سمّى تفسيره "التَّحريرُ والتَّنويرُ".

ومن وفق للاطلاع على هذا التفسير ، لا يشك أبدا بعظم هذا الكتاب ، وعلوّ شأن مؤلفه ، وسعة اطلاعه ومعرفته ، فقد أودع فيه من العلوم ألوانا شتى ، ومن المعارف ما يروي ظمأ العطشى ،﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾(١) .

ومن ميزاته أنك إن رمت تفسير الآيات وجدته قد أجاد فيه وأفاد ، ونقل ومحص النقول وذلك لعلو مرتبته في العلم ، فلا يكتفي بالنقل المجرد ، ولا يستقلّ بفهمه الخاص ، بل زاوج بينهما حتى رأينا من كلامه ما يقنع ، وإن بحثت عن اللغة فهو العالم المتبحر ، يعرض أقوال أئمتها فيناقش ويرجح ما يترجح له ولا ريب فهو إمام في اللغة والبلاغة التي أوتي منها شطر الحسن ، فترى في أسلوبه العجب العجاب ، ومن الكلام ما يسحر به الألباب ، وإن أتيت لعلوم الفقه وأصوله فهو فقيه أصولي ، كما أن له علم بالسنة لا يخفى.

أضف إلى ذلك اطلاعه المبهر على كتب أهل الكتاب واستخدام ما جاء فيها للرد على أقوالهم وشبهاتهم ، فهو كثيرا ما ينقل عنهم في تفسيره حتى يكاد المرء يجزم أن الشيخ قد حفظها عن ظهر قلب.

ولا نغفل أخي القارئ أن الشيخ –رحمه الله– له معرفة في علوم الطب ، فقد ذكر في أكثر من موضع في "التَّحريرِ والتَّنويرِ" مسائل طبية تنبؤك بما عنده من المعرفة ، [فالمؤلف يرى أن القرآن الكريم كتاب هدى وإصلاح فلا عجب أن تجد في تفسيره تعرضا لكثير من العلوم والفنون وشتى أنواع المعارف من صناعة ، وطب ، ونظريات في الفلك وغير ذلك من فروع الثقافة المختلفة التي قد يرى غيره أنها ليس من صميم عمل المفسر](٢).

ولذلك كله كان هذا التفسير [التَّحريرُ والتَّنوير] من التفاسير الهامة في تراثنا العلمي ، لغزارة ما فيه من الفوائد والعلوم ، وذلك لعلو كعب مؤلفه في العلم والمعرفة.

---

(١) سورة الجمعة ، جزء من الآية : ٤ .

(٢) الحمد ، محمد بن إبراهيم ، التقريب لتفسير التحرير والتنوير ، ط ١ ، الرياض : دار ابن حزيمة ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م) ١١/١.

ولهذا السبب -ولغيره من الأسباب- ارتأيت أن يكون عنوان بحثي هو : [جهود العلامة الطـــاهر بـــن عاشور في الرد على شبهات النصارى من خلال تفسيره التَّحرير والتَّنوير].

أهمية وأسباب اختيار موضوع البحث

لا يخفى على كل ذي لب ما يتعرض له ديننا الإسلامي من مؤامرات ودسائس وشبهات ، وتسلط الأعداء ، حتى أصبحنا كالغثاء ، وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن ثوبان قال قال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم : [يوشك الأمَمُ أَن تداعى عليكُم كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها](١)، ولهذا وجب على المسلمين الدفاع عن دينهم كل بما آتاه الله ، فالكاتب بكتابته ، والباحث ببحوثه ، والعالم بعلمه ، والمجاهد بجهاده ، فلنحرص على ألا يؤتى الإسلام من ثغورنا.

ومعلوم أن قادة ورهبان النصارى من أعدائنا قديما وحديثا ولا يزالون كذلك ،قال العليم الخبير ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(٢)، فكان مما حاربونا به بثّ الشبهات بين المسلمين ، لتشكيكهم في دينهم ومحاولة زرع الفرقة بينهم .

ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع ، ولأسباب أخرى منها : المشاركة بالدفاع بقدر المستطاع عن ديننا الحنيف ، وذلك بالرد على شبهات أعدائه من خلال اقتباس كلام عالم متبحر متفنن متخصص ، ألا وهو العلامة ابن عاشور .

ومن الأسباب -أيضا- إبراز جهود هذا الإمام في خدمة الإسلام والمسلمين من خلال البحث والتنقيب في مؤلفاته والتي من أهمها تفسيره [التَّحرير والتَّنوير].

---

(١) سنن أبي داوود ، باب في تداعي الأمم ، رقم الحديث ٤٢٩٧ .وصححه الألباني.

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٢٠ .

الدراسات السابقة

إن هذا العنوان الذي قمت باختياره يعتبر جديدا في موضوعه ، حيث بحثت في كل المؤلفات التي ألفت عن العلامة ابن عاشور أو ما كان منها متعلق بمؤلفاته وعلى وجه الخصوص ما كان ذو علاقة بتفـــسيره "التَّحريرُ والتَّنوير" فلم أجد من تطرق لهذا الموضوع تحديدا وأعني به " الرد على شبهات النصارى مـــن خلال التحرير والتنوير".

منهج البحث

لقد اتبعت في كتابة بحثي هذا منهجا محددا أسير عليه ، وهو كالتالي :

أولا : قمت بتتبع أقوال ابن عاشور في تفسيره [التَّحرير والتَّنوير] والتي فيها ردّ على شبهة من شبهات النصارى ، ومن ثم جمعها.

ثانيا : تصنيف هذه الشبهات وتسميتها ووضع العناوين لها ، وغالبا ما يكون العنوان مقتبس من كلام العلامة ابن عاشور.

ثالثا : تصدير الشبهات بالآيات الكريمات التي يكون في تفسيرها رد على شبهة من الشبهات ، أو تكون الآية بحد ذاتها ردّ عليهم وتكذيب لقولهم وفضحهم.

رابعا : نقل الردّ على الشبهات من كلام ابن عاشور في تفسيره ، ويكون النقل بالنَّص من غير زيادة ولا نقص ، إلا ما كان زائدا عن المطلوب ، وفي حذفه يتبين المرغوب ، فإني أحذفه وأجعل في مكانه نقط بين معقوفتين [...].

خامسا : مقارنة بعض ردود ابن عاشور على هذه الشبهات بردود من سبقه من المفسرين ، واتَّخذت الإمام القرطبي –صاحب تفسير [الجامع لأحكام القرآن] المعروف بتفسير القرطبي– مثالا لهذا ، وذلك لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف والتجديد والإبداع.

سادسا : قمت بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق وتوضيح من كلام الإمامين.

سابعا : نقلُ الآيات بواسطة برنامج "مصحف المدينة النبوية للنَّشر الحاسوبي" من إصدار مجمَّع الملك فهد –رحمه الله– لطباعة المصحف الشريف ، وذلك لتفادي الأخطاء في نقل كلام الله جلَّ في علاه.

ثامنا : ترقيم الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وعزوها في الحاشية السفلية مع الحكم عليها.

تاسعا : ترجمة مختصرة للأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا هذا البحث .

عاشرا : وضعت فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام وفهـــارس للمـــصادر والمراجـــع والموضوعات.

حادي عشر : اعتمدت في نقل أقوال ابن عاشور على نسخة من طباعة "دار سحنون للنشر والتوزيـــع" تونس ، لم يبيّن فيها سنة الطباعة.

ثاني عشر : اعتمدت في نقول أقوال الإمام القرطبي على نسخة من طباعة "دار إحياء التـــراث العـــربي" سنة الطبع ١٤٢٢هـــ ٢٠٠٢م.

خطّة البحث

وضعت لهذا البحث خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، أوضح ما جاء في هذه الخطة بما يلي:

المقدمة : وفيها تمهيد وبيان لأهمية البحث ، وسبب اختياره ، والمنهج الذي سرت عليه.

الفصل الأول

ابن عاشور العالم المُؤلف المصلح ، والتعريف بتفسيره ، وتعريفه بمذاهب النصارى

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالعلامة ابن عاشور وإبراز بعض من جهوده ومؤلفاته.

المبحث الثاني : التعريف بتفسير العلامة ابن عاشور المسمى [التَّحريرُ والتَّنويرُ] ونقل كلام أهل العلم عنه.

المبحث الثالث : التعريف بالنصارى ومذاهبهم ونشأة النصرانية .

الفصل الثاني

الشبهة : تعريف وبيان لكيفية الرد عليها ، وجهود أعداء الدين في بثِّ الشبهات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الشبهة وبيان كيفية الرد العلمي عليها .

المبحث الثاني : إلقاء الضوء على جهود أعداء الدين من النصارى في محاربتهم للإسلام وذلك في إلصاق التهم وبثّ الشبهات.

الفصل الثالث

بيان الرد على شبهات النصارى من كلام الإمام ابن عاشور مع النقد والتعليق

وفيه سبعة وعشرون مبحثاً:

المبحث الأول : شبهة اتخاذ الولد والرد عليها.

المبحث الثاني : شبهة حصر الهدى في النصرانية والرد عليها.

المبحث الثالث : شبهة اللمز بقبلة المسلمين والرد عليها.

المبحث الرابع : شبهة إثبات الإلهية لابن الإنسان والرد عليها.

المبحث الخامس : شبهة اعتقاد النصارى أن عيسى قد أميت ومع ذلك فهم يؤلهونه والرد عليها.

المبحث السادس : بيان أنّ الله يصور الناس -ومنهم عيسى عليه السلام-في الأرحام كيف يشاء.

المبحث السابع : بيان معنى الكلمة التي خلق منها عيسى عليه السلام .

المبحث الثامن : بيان معنى الخلق الذي جاء به عيسى عليه السلام .

المبحث التاسع : شبهة اعتقاد النصارى في أُلوهية عيسى عليه السلام والرد عليها.

المبحث العاشر : بيان مباهلة النصارى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الحادي عشر : بيان أنه لا إله إلا الله العزيز الحكيم .

المبحث الثاني عشر : بيان رجوع النصارى إلى المجادلة بعد رفضهم المباهلة .

المبحث الثالث عشر : بيان أن الإسلام هو ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

المبحث الرابع عشر : شبهة أن الإسلام زائد عن ملة إبراهيم والرد عليها.

المبحث الخامس عشر : شبهة اعتقاد النصارى أن إبراهيم كان نصرانيا والرد عليها.

المبحث السادس عشر : بيان من أولى الناس بإبراهيم عليه الصلاة والسلام .

المبحث السابع عشر : شبهة ادعاء النصارى بأن عيسى —عليه السلام- أمرهم بعبادته والرد عليها.

المبحث الثامن عشر : بيان غلو النصارى في عيسى-عليه السلام- ونهي الله لهم .

المبحث التاسع عشر : بيان أن أناجيل النصارى تخبرهم أن عيسى عبدٌ لله .

المبحث العشرون : بيان ذكر ميثاق النصارى الذي أخذه الله عليهم .

المبحث الواحد والعشرون : بيان أعظم ضلال النصارى .

المبحث الثاني والعشرون : شبهة ادعاء النصارى بأهم أبناء الله والرد عليها.

المبحث الثالث والعشرون : بيان تقريع النصارى وإعلان كذب من كفر منهم.

المبحث الرابع والعشرون : بيان أن طاعة النصارى لرهباهم طاعة عمياء تجعلهم في مقام الربوبيـــة في التشريع.

المبحث الخامس والعشرون : شبهة تفضيل عيسى عليه السلام- على نبينا محمد صلى الله عليه وســـلم والرد عليها.

المبحث السادس والعشرون : بيان مترلة عيسى-عليه السلام-الحقيقية.

المبحث السابع والعشرون : بيان أن عيسى عبدٌ من عباد الله ورسول من رسله .

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

وفيها أبين أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات من خلال هذا البحث.

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس الأحاديث الشريفة.
٣- فهرس الأعلام.
٤- فهرس المصادر والمراجع.
٥- فهرس الموضوعات.

الــفــصــل الأول

ابن عاشور العالم المُؤلف المصلح ، والتعريف بتفسيره ، وتعريفه بمذاهب النصارى

الــمــبــحــث الأول

التعريف بالعلامة ابن عاشور وإبراز بعض من جهودهِ ومؤلفاته

العلامة محمد الطاهر بن عاشور

١٢٩٦ – ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ – ١٩٧٣م

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، الشهير بالطاهر بن عاشور ، ولد في ضاحية المرسى بتونس في (١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م) بقصر جده للأم الصدر الوزير محمد العزيز بو عتور(١).
وهو من سلالة أسرة علمية عريقة تمتد جذورها إلى بلاد الأندلس . وقد استقرتّ هذه الأسرة العريقة في تونس هربا من محاكم التفتيش وحملات التنصير التي تعرض لها المسلمون في الأندلس.

يقول المهدي بن حميدة متحدثا عن آل عاشور :[أصل هذه الشجرة الزكية الأول هو محمد بن عاشور ، ولد بمدينة سلا من المغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فارّا بدينه من القهر والتنصير. توفّي سنة ١١١٠هـ وقد سطع نجم آخر وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وهو جد مترجمنا ، ولد سنة ١٢٣٠هـ وقد تقلد مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتدريس والإشراف على الأوقاف الخيرية والنظارة على بيت المال والعضوية بمجلس الشورى.
ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد العزيز بوعتور والشيخ يوسف جعيط والشيخ أحمد بن الخوجة (٢).

---

(١) (١٢٤٠ – ١٣٢٥ هـ = ١٨٢٥ – ١٩٠٧ م) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بو عتور الصفاقسي التونسي: وزير، من العلماء الكتاب. أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان) ومولده ووفاته بتونس. ولي الكتابة في حكومتها سنة ١٢٦٢ هـ وتقدم، فكان كاتبا خاصا لأسرار الملك، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص. وكانت الخطب الملكية والرسائل الهامة والمنشورات كلها من انشائه. وتناول قانون (عهد الأمان) بالشرح والتفريع، وعلق عليه تحريرات أصولية في إجراء بعض كلياته على قواعد الشريعة الإسلامية. وكان عضدا لخير الدين التونسي حين ولي رياسة الوزارة، فسمي في أيامه وزير استشارة (سنة ١٢٩٠) وكان من العاملين في تأسيس المدرسة الصادقية وجمعية الأوقاف، وفي تنظيم المحاكم الشرعية وسن قانون العدول. ثم تقلد منصب الوزارة الكبرى سنة ١٣٠٠ فقام بالأعباء قياما حسنا. ولما توفي أمر المولى (محمد الناصر باي) بدفنه في مقبرة الأسرة المالكة. (الأعلام للزركلي ٢٦٧/٦).

(٢) (١٢٤٥ – ١٣١٣ هـ = ١٨٣٠ – ١٨٩٦ م)أحمد بن محمد بن الخوجة، أبو العباس: فاضل، من شيوخ تونس وعلمائها. مولده ووفاته فيها.ولي قضاء الحنفية، ثم الفتوى، ثم مشيخة الإسلام سنة ١٢٩٤ هـ له (كشف اللثام عن محاسن الإسلام) وعدة رسائل في موضوعات مختلفة.(الأعلام للزركلي ٢٤٨/١).

والشيخ سالم بوحاجب (١)، والشيخ محمود بن الخوجة والشيخ محمد بيرم(٢). ومن سلالة آل عاشــور والد شيخنا الشيخ محمد بن عاشور وقد تولى رئاسة مجلس إدارة جمعية الأوقاف ثمَّ خلفه عليهــا "أبــو النخبة المثقفة" محمد البشير صفر ، حيث عينته الدولة نائبا عنها في تلك المؤسسة وقد تــدعمت الــصِّلة وتمتنت بين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجد وتلميذه محمد العزيز بوعتور الوزير نتج عنــها زيجــة شرعية لابنة الثاني – محمد العزيز بوعتور – على ابن الأول – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجــد – وهكذا تمت أواصر هذه العائلة بالعائلات التونسية وأخذت مكانها وارتبطت صلاتها فكانــت شــجرة طيبة ...] اهـــ(٣).

وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء الذين نهلوا العلم من جامع الزيتونة العريق(٤)، تلك المؤســسة العلمية الدينية التي كانت منارة للعلم والهداية في الشمال الأفريقي.

ترعرع ابن عاشور في أحضان أسرة علمية ، ونشأ بين أحضان والد يأمل أن يكون على مثال جــده في العلم والنبوغ ، وفي رعاية جده لأمه الوزير الذي كان يحرص على أن يكون خليفة في العلــم والجــاه والسلطان.

---

(١) (١٢٤٣ – ١٣٤٢ هــ = ١٨٢٧ – ١٩٢٤ م)سالم بن عمر بو حاجب النبيلي: فاضل مالكي، من أهل تونس. تولى التــدريس بجامع الزيتونة ثم الفتيا سنة ١٣٢٣هـــ ثم عين كبيرا لأهل الشورى المالكية. له (شرح على ألفية ابن عاصم) في الأصــول، و (ديــوان خطب) ورسائل، وتقريرات على البخاري. واشترك مع خير الدين باشا التونسي في تحرير كتابه (أقوم المــسالك في معرفــة أحــوال الممالك) وله نظم جيد.(الأعلام للزركلي ٣/٧١).

(٢) (١٢٥٦ – ١٣٠٧ هــ = ١٨٤٠ – ١٨٨٩ م) محمد (بيرم الخامس) ابن مصطفى ابن محمد (الثالث) من بني بيرم: عالم رحالــة مؤرخ من علماء تونس. ولد بها وولي بعض المناصب، وسافر إلى أوربة.ولما استولى الفرنسيس على تونس (سنة ١٢٩٨ هــ هجر بلاده وأخذ يجاهد فيهم بقلمه، فمكث في الأستانة مدة. وانتقل إلى مصر (سنة ١٣٠٢ هــ فأنشأ جريدة (الأعــلام) يوميــة، ثم أســبوعية استمرت نحو أربعة أعوام، واحتجبت بتوليه منصب القضاء في محكمة مصر الابتدائية الأهلية (سنة ١٣٠٦) وتــوفى بحلــوان، ودفــن بالقاهرة. أشهر آثاره كتاب رحلته (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار – ط) خمسة أجزاء. ومن كتبه (تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص – ط) و (التحقيق في مسألة الرقيق – ط) و (الروضة السنية في الفتاوى البيرمية – ط) (الأعلام للزركلي ٧/١٠٠).

(٣) ابن حميدة ، المهدي ، الشيخ محمد بن عاشور رائد الفكر الإسلامي ، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

(٤) جامع الزيتونة أول جامعة في العالم الإسلامي وهو جامعة وجامع بمدينة تونس. يعد ثاني الجوامع التي بنيت في "أفريقية" بعد جــامع عقبة بن نافع في القيروان، يرجح المؤرخون أن من أمر ببنائه هو حسان بن النعمان عام ٧٩ هــ وقام عبيد الله بن الحباب بإتمام عمارته في ١١٦ هـــ٧٣٦م. (المصدر : موقع ويكيبيديا الإلكتروني).

حفظ القرآن قبل البلوغ في الرابعة عشر من عمره ، واتجه بعد هذا الفتح إلى حفظ المتون السائدة في زمانه . بعد ذلك التحق بجامع الزيتونة سنة (١٣١٠هـ ١٨٨٢م) ، وشرع ينهل من معينه بشوق وتعطش فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها ، أتقن علوم الشريعة واللغة والآداب بل والطب وكذلك اللغة الفرنسية ، ساعده في ذلك بعد توفيق الله جل وعلا ، ذكاؤه الخارق وحافظته القوية ، وفطنته النادرة ، أضف إلى ذلك البيئة العلمية التي نشأ فيها وشيوخه العظام الذين تتلمذ على يديهم .

تخرج الطاهر في الزيتونة عام (١٣١٧هـ = ١٨٩٦م) ، والتحق بسلك التدريس في هذا الجامع العريق ، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عين مدرسا من الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (١٣٢٤هـ = ١٩٠٣م).

وكان الطاهر قد اختير للتدريس في المدرسة الصادقية سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٠م) (١) وكان لهذه التجربة المبكرة في التدريس بين الزيتونة -ذات المنهج التقليدي- والصادقية -ذات التعليم العصري المتطور- أثرها في حياته ، إذ فتحت وعيه على ضرورة ردم الهوة بين تيارين فكريين ما زالا في طور التكوين ، ويقبلان أن يكونا خطوط انقسام ثقافي وفكري في المجتمع التونسي ، وهما : تيار الأصالة الممثل في الزيتونة ، وتيار المعاصرة الممثل في الصادقية ، ودون آراءه هذه في كتابه النفيس [أليسَ الصبحُ بقريب] من خلال الرؤية الحضارية التاريخية الشاملة التي تدرك التحولات العميقة التي يمرُّ بها المجتمع الإسلاميّ والعالميّ.

في عام (١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧م) عين الطاهر بن عاشور نائبا أول لدى النظَّارة العلمية (١) بجامع الزيتونة فبدأ بتطبيق رؤيته الإصلاحية العلمية والتربوية ، وأدخل بعض الإصلاحات على النَّاحية التعليميِّة وحرَّر لائحة في إصلاح التَّعليم وعرضها على الحكومة فنُفذت بعض ما فيها ، وسعى إلى إحياء بعض العلوم العربيِّة ؛ فأكثر من دروس الصَّرف في مراحل التعليم وكذلك دروس أدب اللُّغة ، ودرَّس بنفسه شرح ديوان الحماسة لأبي تمَّام.

---

(١) تأسست المدرسة الصادقية في سنة (١٢٩١هـ١٨٧٥م) على يد خير الدين التونسي. وتعتبر أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد التونسية جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم. وقد تخرج من الصادقية جل القيادات والشخصيات السياسية التونسية الهامة كالرئيس الحبيب بورقيبة والوزير أحمد بن صالح والكاتب محمود المسعدي وغيرهم. هذه المدرسة التي وضعت برامج عصرية، متفتحة على العالم، وطرق تدريس ثرية، متنوعة، وحديثة، ضمت إلى جانب اللغة العربية اللغات الأجنبية كالتركية والإيطالية والفرنسية والعلوم الصحيحة كالرياضيات.((المصدر : موقع ويكيبيديا الإلكتروني).

(١) لجنة تشرف على العملية التعليمية.

وفي (صفر ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠م) اختير ابن عاشور ليكون في لجنة إصلاح التعليم الأولى بالزيتونة ، وكذلك في لجنة الإصلاح الثانية (١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤م) ثم اختير شيخا لجامع الزيتونة في (١٣٥١ هـ = ١٩٣٢م) كما كان شيخ الإسلام المالكي ؛ فكان أول شيوخ الزيتونة الذين جمعوا بين هذين المنصبينِ ، ولكنه لم يلبث أن استقال من المشيخة بعد سنة ونصف السنة ، بسبب العراقيل التي وضعت أمام خططه لإصلاح الزيتونة ، وبسبب اصطدامه ببعض الشيوخ عندما عزم على إصلاح التعليم في الزيتونة.

أُعيد تعيينه شيخا لجامع الزيتونة سنة (١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥م) وفي هذه المرة أدخل إصلاحات كبيرة في نظام التعليم الزيتوني ؛ فارتفع عدد الطلاب الزيتونيين ، وزادت عدد المعاهد التعليمية.

وفي سنة (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٦م) ولدى استقلال تونس ، أُسندت إليه رئاسة الجامعة الزيتونية.
وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة (٢).

(٢) استُخلِصتْ هذه الترجمة من عدة مراجع : (كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي ٦/١٧٣-١٧٥ ، محمد الطاهر بن عاشور – مقاصد الشريعة الإسلامية – تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي – دار النفائس بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩.، بلقاسم الغالي – محمد الطاهر بن عاشور.. حياته وآثاره – دار ابن حزم – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦.، محمد محفوظ – تراجم المؤلفين التونسيين – دار الغرب الإسلامي – ١٩٨٥) .

مكانته العلمية و نتاجه العلمي

كان الطاهر بن عاشور عالما مصلحا مجددا ، لا يستطيع الباحث في شخصيته وعلمه أن يقف على جانب واحد فقط ، إلا أن القضية الجامعة في حياته وعلمه ومؤلفاته هي التجديد والإصلاح من خلال الإسلام وليس بعيدا عنه ، ومن ثم جاءت آراؤه وكتاباته ثورة على التقليد والجمود وثورة على التسيب والضياع الفكري والحضاري.

قدَّمنا فيما سبق أن الطاهر بن عاشور حاول وجاهد في سبيل إصلاح جامعة الزيتونة ، ولقي ما لقي من ضغوط ومواجهات جعلته يستقيل في المرة الأولى ، ثم بعد توفيق الله في المرة الثانية نجح وحقق كثيرا مما كان يصبو إليه ، فأدخل الكثير من الإصلاحات ، منها ما يختص بالكتب الدراسية وأساليب التدريس ومعاهد التعليم ، فاستبدل كثيرا من الكتب الدراسية القديمة التي كانت تدرَّس في الجامعة ذاتها ، واهتم بعلوم الطبيعة والرياضيات ، كما راعى في المرحلة التعليمية العالية التبحر في أقسام التخصص ، وبدأ التفكير في إدخال الوسائل التعليمية المتنوعة .

وحرص على أن يصطبغ التعليم الزيتوني بالصبغة الشرعية والعربية ، حيث يدرس الطالب الزيتوني الكتب التي تنمي الملكات العلمية وتمكنه من الغوص في المعاني ؛ لذلك دعا إلى التقليل من الإلقاء والتلقين ، وإلى الإكثار من التطبيق ؛ لتنمية ملكة الفهم التي يستطيع من خلالها الطالب أن يعتمد على نفسه في تحصيل العلم .

له مصنفات كثيرة عظيمة القدر والنفع في فنون شتى ولا غرابة إذا عرف مصنفها ، منها بل أهمها : تفسيره – محلُّ بحثنا – الموسوم بـ: " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ثم اختصر الاسم فصار : " التحرير والتنوير من التفسير"(١) وكتاب "مقاصد الشريعة الإسلامية" و "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام " و "الوقف وآثاره في الإسلام" و "أصول الإنشاء والخطابة" و

(١) ابن عاشور ، الطاهر بن محمد ، "التحرير والتنوير" ، ط ،(تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع) ٩/١.

"موجز البلاغة" و "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطَّا" و "ألـيس الـصبح بقريـب" وغيرها كثير كثير سواء ما كان منها مطبوعا أو مخطوطا.

يقول الأستاذ محمد الطاهر الميساوي في مقدمة كتاب "مقاصد الشريعة" لابن عاشور:[ومـن ثم فـلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان ، متنوعة العطاء ، دانية القطوف ، وكأنما أنـت في حـضرة مجمع من العلماء ضم في صعيد واحد : اللغوي ، والأديب ، والمفسر ، والمحدث ، والأصولي ، والفقيـه ، والمربي ، والمؤرِّخ ، والفيلسوف ، والمنطقي ، بل وحتى العالم بأمور الطب.ويكفي لمعرفة مكانة ابـن عاشور في التفسير الإحالة على موسوعته "تفسير التحرير والتنوير".

أما في الحديث فهو حافظ حجة له إسناد جامع لصحيحي البخاري ومسلم ، وله كذلك إسناد عزيـز روى به أحاديث البخاري يعرف بسند المحمدين ، وقد أجاز بذلك عددا مـن العلمـاء مـن تـونس والجزائر والمغرب.

هذا إلى تحقيقاته وشروحه على مرويات الإمامين مالك بن أنس –رحمه الله – "كـشف المغطَّـى مـن المعاني والألفاظ الواقعة في الموطَّأ" وأبي عبدالله البخاريّ " النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجـامع الصحيح" التي استدرك فيها على الكثيرين من سابقيه.

أما رسوخ قدمه في الفقه وأصوله فيكفي شاهدا له كتاب "المقاصد" الذي بين أيدينا ، وشرحه المسهب وتحقيقاته المتينة على كتاب "تنقيح الفصول في الأصول" للقرافي.

وابن عاشور إلى هذا وذاك لغوي محقق بالمعنى الواسع لعلوم اللغة ، سلَّمت له بالإمامة في ذلك المجـامع العلمية كمجمعي (دمشق والقاهرة) اللذين اعتمداه عضوا مراسلا بهما ، وما تزال مداخلاته وأنظـاره على صفحات مجلتيهما تنتظر الجمع والتحقيق والنشر . ذلك فضلا عن العدد الكبير من كتـب اللغـة والأدب ودواوين الشعر التي حققها ، فمنها ما نشر ، ومنها ما لا يزال مخطوطا.

وللفلسفة والمنطق عند ابن عاشور مكانة وتقدير ؛ فقد كان يدرس المنطق والحكمة ، وكـان كتـاب "النجاة" للشيخ الرئيس أبي عليّ بن سينا (1) من جملة الكتب التي درسها بجامع الزيتونـة ، جنبـا إلى جنب مع المقدمة لابن خلدون (2)، ودلائـل الإعجـاز لعبـد القـاهر الجرجـاني (3)، والموافقـات للشاطبي(4)..إلخ.وهو كثيرا ما يستشهد بأقوال الفلاسفة وينـوه بـآرائهم ، ويوظـف منـاهجهم في استدلالاته وتحليلاته ، ويدرأ ما حاق بأنظارهم من سوء فهم وسوء تأويل . أما ما قد يثير الاسـتغراب حقّا فهو صلته بالطب التي تحتاج إلى تحقيق ، خاصة وأن له في هذا كتابا مخطوطا بعنـوان "تـصحيح

---

(1) (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صـاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى.ونشأ وتعلم في بخـارى، وطـاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتـوارى. ثم صـار إلى أصـفهان، وصنف بها أكثر كتبه.وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها. قال ابن قيم الجوزية: (كان ابن سـينا - كمـا أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين). أشهر كتبه (القـانون) كـبير في الطـب. (الأعـلام للزركلي ٢/٢٤٢).

(2) (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ -١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشـبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتـونس. رحـل إلى فـاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظـاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، و لم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة.كان فصيحا، جميـل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية.ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه.اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر - طبع في سبعة مجلدات، أولهـا (المقدمـة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها.(الأعلام للزركلي ٣/٣٣٠).

(3) (٠٠٠ - ٤٧١ هـ = ٠٠٠ - ١٠٧٨ م)عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرسان وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه " أسرار البلاغة - ط " و " دلائل الإعجـاز - ط " و " الجمل - خ " في النحو، و " التتمة - خ " نحو، و " المغني " في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءا، اختصره في شرح آخر سماه " المقتصد - خ " في الظاهرية، و " إعجاز القرآن - ط " و " العمدة في تصريف الأفعال، و " العوامل المائة - ط ". (الأعلام للزركلي ٤/٤٨).

(4) (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ = ١١٤٤ - ١١٩٤ م) القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي: إمام القـراء. كـان ضريرا.ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر. وهو صاحب " حرز الأماني - ط " قصيدة في القراءات تعرف بالشاطبية. وكان عالمـا بالحديث والتفسير واللغة، قال ابن خلكان: كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تصحح النسخ من حفظه. والـرعيني نسبة إلى ذي رعين أحد أقيال اليمن.(الأعلام للزركلي ٥/١٨٠).

وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكيم ابن زهر". أما التاريخ فله فيه كذلك آثـــار مـــا تـــزال مخطوطة منها كتاب "تاريخ العرب" وكتابات في السير والتراجم][1].

(1) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي (المكتبـــة الـــشاملة الإلكترونيـــة) ص١٦_١٧.

شيوخه

اكتسب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور تلك الثقافة الواسعة التي شملت علوما عديدة مفيدة منها التفسير و علوم القرآن وفن الحديث ومصطلحه وعلوم اللغة بأقسامها والتاريخ وعلم المنطق وأعمل فكره النير فيما اكتسبه من تلك المعارف والفنون فحقق وحلل ثم رجح وهذه نتيجة طبيعية لمن كان في مثل ثقله. وسبب هذا أنه تخرج أيدي ثلة من علماء عصره الذين تميزوا بتلك الثقافة الموسوعية في شتى العلوم ، إلى جانب القدرة الفائقة على إيصال تلك العلوم والمعارف عن طريق معرفتهم وإجادتهم بطرق التدريس المتطورة وتركيزهم على تربية الطلاب والاستفادة من ملكاتهم ومواهبهم في العلوم.

ومن أشهر مشايخه الشيخ محمد النجار(١) والشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد النخلي والشيخ محمد بن يوسف (٢) والشيخ عمر بن عاشور والشيخ صالح الشريف رحمهم الله تعالى جميعا.

وإذا ما نظرنا وتأملنا في حياة هؤلاء المشايخ الإجلاء وجدنا حياة مفعمة بالحيوية العلمية الزاخرة، الحافلة بجليل الأعمال، فقد أعطوا وأنفقوا من أعمارهم وأوقاتهم كثيراً في سبيل العلم وساهموا في إثراء الحياة التونسية في الدين والاجتماع والأدب والسياسة،وهؤلاء الكرام الأفاضل وإن لم نجد لبعضهم

---

(١) (٠٠٠ - ١٣٢٩ هـ = ٠٠٠ - ١٩١١ م) محمد النجار: أديب مصري، رحال، أزهرى. عرفه صاحب أدب الشعب بأمير فن الزجل، بمصر. تعلم بالأزهر. ودرس فيه وبغيره. ونظم الشعر، وأصدر جريدة (الأرغول) فكانت مسرحا للنقد والأدب. وصنف (الطراز الموشى في صناعة الإنشا - ط) جزآن. وتوفي بالقاهرة . (الأعلام للزركلي ١٢٢/٧).

(٢) (١٢٦٧ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٥١ - ١٩٣٥ م) محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني المغربي المراكشي البيباني، بدر الدين الحسني: محدث الشام في عصره. أصله من مراكش، من ذرية الشيخ الجرولي صاحب دلائل الخيرات. انتقل أحد أسلافه إلى الديار المصرية، فولد فيها أبوه بقرية بيبان (من البحيرة) ورحل إلى تونس فقرأ في جامع الزيتونة وعاد إلى الشرق فأقام بدمشق واشتهر بالمغربي. وولد صاحب الترجمة في دمشق، فحفظ الصحيحين غيبا بأسانيدهما ونحو ٢٠ ألف بيت من متون العلوم المختلفة، وانقطع للعبادة والتدريس.وكان ورعا صواماً بعيدا عن الدنيا، ارتفعت مكانته عند الحكام وأهل الشام، حتى أن بعض العامة من أهل دمشق حين اشتد بغي (الاتحاديين) من رجال الترك، في خلال الحرب العامة الأولى، عرضوا عليه البيعة بالخلافة، والثورة معه، فزجرهم، وزاد في انزوائه واعتكافه، وكان يأبى الإفتاء ولا يرغب في التصنيف، فلم نعرف له غير رسالتين مطبوعتين: إحداهما في سنده لصحيح البخاري والثانية في شرح قصيدة (غرامي صحيح) في مصطلح الحديث. وله ثالثة مخطوطة سماها (الدرر البهية في شرح المنظومة البيقونية - خ) في خزانة الرباط (١٢٩٥ كتاني) جاء اسمه عليها (محمد بدر الدين بن يوسف بن بدر الدين). ويقول من قرءوا عليه مدة طويلة إنه ألف نحو (أربعين) كتابا قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، ولا أعلم أين ذهبت.(الأعلام للزركلي ١٥٦/٧).

مصنفات مشهورة تذكرنا بهم إلا أنهم أنجبوا لنا علماء عاملون -نحسبهم كذلك- شـــهدوا لأســـاتذتهم بسعة العلم والإطلاع والقدرة الفائقة على نقد الآثار وتقويم المناهج وإصلاح الهنات اللغوية، وقد كـــان الشيخ بوحاجب أخصائياً في علوم اللغة والنحو والبلاغة والأدب.

والأستاذ عمر بن الشيخ ماهر في الفقه والمنطق والكلام والفلسفة . والشيخ محمد النجار كـــان جامعـــاً لشتى العلوم التي تدرس بجامع الزيتونة.

وهؤلاء العلماء الذين ثنى ركبه عندهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كانوا ثمرة لأســـاتذة مـــصلحين أسهموا في الحياة التونسية أيما إسهام وكان ذلك على شتى المستويات الأدبيـــة والاجتماعيـــة [أمثـــال الشيخ إبراهيم الرياحي وإسماعيل التميمي والوزير خير الدين باشا صاحب أقوم المسالك والشيخ محمود قبادو. ولقد كان هؤلاء العلماء زعماء المدرسة الإصلاحية التونسية ، وكانت فرعا مهمـــا للمـــدارس الإصلاحية التي نشرت في العالم الإسلامي كالمدرسة الدهلوية والمدرسة الوهابية والمدرسة الأفغانيـــة – نسبة إلى جمال الدين الأفغاني – وهذه المدرسة إلى جانب المدرسة المغربية تتفق مـــع مـــدارس العـــالم الإسلامي في الأسس والمبادئ وتختلف عنها في الأساليب والطرائق . بيد أنها تلتقي جميعا حول هـــدف موحد هو مقاومة التخلف المزري الذي تردى فيه المسلمون بالرغم من أن دينهم دين الفكر والحـــضارة والعلم والمدنية]اهـــ(١).

---

(١) ابن حميدة ، مرجع سابق ، ص ٩ .

أخلاقه وشمائله

كان لابن عاشور أخلاق تزينه وشمائل ترفعه وكسا هذا وذاك بتواضع جم ، فلم يكن -على علو قدره وسعة اطلاعه وتنوع معارفه- من الذين إذا علوا اغتروا كشأن بعض الأدعياء ممن لم يبلغ مرتبته .كان ذا ترفع عن سفاسف الأمور ، إن نظرت إليه فأنت تنظر إلى رجل جمع بين العلو في العلم والحسب والنسب حتى قال فيه الشيخ محمد الخضر حسين (١) : " ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقلَّ من إعجابي بعبقريته في العلم".

ولقد اشتهر-رحمه الله- بالصبر وقوة التحمل والاعتزاز بالذات ، وكان ذا صمود أمام الملمات والمهمات ، يترفع عن كل دنيئة ، تراه في منطقه حلو اللسان وفي تآليفه عفيف القلم ، طيب المعاشرة مع التلاميذ ومع الأقران ومن باب الأولى مع مشايخه فلا تجد بين ما سطرت يداه ردودا شديدة اللهجة على أحد ممن صار بينه وبينه خلاف ، بل تميزت كتاباته بطابع العلم والعلماء الأفذاذ الذين يرأفون بمخالفيهم ويتحرون الحق ويقبلونه ولو كان مع المخالف ، ولا يتقحم الردود التي فيها مضيعة للوقت مجلبة للعداوات.

قال الدكتور محمد الحمد(٢) : [بل إن أشهر ما عرف به الشيخ رحابة صدره مع منتقدي فتاويه ، ومخالفيه في الرأي ؛ فهو لا يغلظ لهم القول ، ولا ينقدهم النقد اللاذع ، بل يلمِّح باحترام وتقدير ولطف دون أن يتعدى دائرة النطاق العلمي النزيه ، وما عرف لسانه ولا قلمه نابي الكلام ؛ فإذا احتاج إلى الرد على أحد - علت ردوده مسحة من الأدب الجم ، واحترام آراء الآخرين ، وترك

---

(١) (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٧٦ -١٩٥٨م) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي: عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر. ولد في نفطة (من بلاد تونس) وانتقل إلى تونس مع أبيه (سنة ١٣٠٦) وتخرج بجامع الزيتونة. ودرس فيه. وأنشأ مجلة (السعادة العظمى) سنة ١٣٢١ – ١٣٢٣هـ وولي قضاء بنزرت (هـ١٣٢٣) واستعفى وعاد إلى التدريس بالزيتونة (سنة ١٣٢٤) وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونة.(الأعلام للزركلي ١١٣/٦).

قلت: وبحسب ما قرأت من ترجمات لابن عاشور فقد تبيَّن لي قوة العلاقة ومتانة الصداقة والمحبة بين الشيخين المترجم لهما.

(٢) هو الشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد من طلبة العلم المعاصرين ، أستاذ العقيدة في جامعة القصيم ، له اهتمام كبير بتفسير ابن عاشور وله مؤلفات في ذلك منها كتابه القيم "التقريب لتفسير التحرير والتنوير".

الاستخفاف أو الاستنقاص للمخالفين كيفما كانت شخصياتهم ، ومهما كانت آراؤهم . ولـــذلك لم يتزل طيلة حياته إلى الإسفاف في القول كما هو الشأن في المناقشات التي ظهرت في عصره ، والمعـــارك الأدبية والعلمية التي كانت يومئذ محط أنظار الناس](٢).

(٢) الحمد ، مرجع سابق ، ٢٢/١ .

أوليّات لابن عاشور

وللشيخ محمد الطاهر بن عاشور أوليات تستحق الوقوف عندها ، والإشارة إليها ، وهي مظهر من مظاهر تميّز المترجم له ، وفيما يلي شيء من ذلك :

أول من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي ، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).

أول من سمي شيخا للجامع الأعظم سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ليتولى الإصلاحات العلمية والتعليمية ، فكان أول شيخ لإدارة التعليم بجامع الزيتونة عوضا عن النظارة التي كانت هي المسيّرة للتعليم به.

أول من لقب بشيخ الإسلام المالكي بشكل رسمي(١) ، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن العاشر الهجري ، و لم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب . وقد أطلق على رئيس المجلس الشرعي الأعلى للمالكية بصفة رسمية عليه.

أول من تقلد جائزة الدولة التقديرية للدولة التونسية ونال وسام الاستحقاق الثقافي سنة (١٩٦٨م) وهو أعلى وسام ثقافي قررت الدولة التونسية إسناده إلى كل مفكر امتاز بإنتاجه الوافر ومؤلفاته العميقة الأبحاث ، ودعوته الإصلاحية ذات الأثر البعيد المدى في مختلف الأوساط الفكرية.

وحصل على جائزة رئيس الجمهوريّة في الإسلاميات عامي ١٩٧٢م_١٩٧٣م.

أول من أحيا التصنيف في مقاصد الشريعة في عصرنا الحالي بعد العز بن عبد السلام (٢) والشاطبي.

---

(١) هناك الكثير من العلماء ممن لقبوا بهذا الاسم ، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، لكن ابن عاشور لقب بشكل رسمي من الدولة ، والمقصود أنه أول عالم يلقب بهذا اللقب في تونس وبشكل رسمي.

(٢) (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٦٢ م) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق.وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ فأقام شهرا.وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي.ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة " صفد " للفرانج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام و لم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه ===

===صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لوظائفك. فقال: لا. وتوفي بالقاهرة.من كتبه " التفسير الكبير " و " الإلمام في أدلة الأحكام " وقواعد الشريعة. (الأعلام للزركلي ٤/٢١).

أول من أدخل إصلاحات تعليمية وتنظيمية في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية ، صـــاغها في كتابه : (أليس الصبح بقريب) الذي ألفه في بواكير حياته ، والذي دل على عقلية تربويـــة فـــذة ، وكان شاهدا على الإصلاح التربوي والتعليمي الشرعي المنشود[1].

(١) انظر كتاب "محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه" للأستاذ خالد الطباع ص٧٨_٨٠. و كتاب " شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره" د. بلقاسم الغالي ، بيروت ، دار ابن حزم ١٩٩٦م ، ص٥٦_٦٢ .

مواقف يجب أن تُذكر

محنة التجنيس :

لم يكن الطاهر بن عاشور بعيدا عن سهام الاستعمار والحاقدين عليه والمخالفين لمنهجه الإصلاحي التجديدي ، فتعرض الشيخ لمحنة قاسية استمرت ثلاثة عقود عرفت بمحنة التجنيس ، وملخصها أَن الاستعمار الفرنسي أصدر قانونا في (شوال ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠م) عرف بقانون التجنيس ، يتيح لمن يرغب من التونسيين التجنس بالجنسية الفرنسية ؛ فتصدى الوطنيون التونسيون لهذا القانون ومنعوا المتجنسين من الدفن في المقابر الإسلامية ؛ مما أربك الفرنسيين فلجأت السلطات الفرنسية إلى الحيلة لاستصدار فتوى تضمن للمتجنسين التوبة من خلال صيغة سؤال عامة لا تتعلق بالحالة التونسية توجه إلى المجلس الشرعي.

وكان الطاهر يتولى في ذلك الوقت سنة (١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣م) رئاسة المجلس الشرعي لعلماء المالكية فأفتى المجلس صراحة بأنه يتعين على المتجنس عند حضوره لدى القاضي أن ينطق بالشهادتين ويتخلى في نفس الوقت عن جنسيته التي اعتنقها ، لكن الاستعمار حجب هذه الفتوى ، وبدأت حملة لتلويث سمعة هذا العالم الجليل ، وتكررت هذه الحملة الآثمة عدة مرات على الشيخ ، وهو صابر محتسب.

صدق الله وَكذب بورقيبة :

ومن المواقف المشهورة للطاهر بن عاشور رفضه القاطع استصدار فتوى تبيح الفطر في رمضان ، وكان ذلك عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١م) عندما دعا «الحبيب بورقيبة» الرئيس التونسي السابق العمال إلى الفطر في رمضان بدعوى زيادة الإنتاج ، وطلب من الشيخ أَن يفتي في الإذاعة بما يوافق هذا ، لكن الشيخ صرح في الإذاعة بما يريده الله تعالى ، بعد أن قرأ آية الصّيام ، وقال بعدها : «صدق الله وكذب بورقيبة» ، فخمد هذا التطاول المقيت وهذه الدعوة الباطلة بفضل مقولة ابن عاشور (١).

(١) مقالٌ بقلم مصطفى عاشور ، المكتبة الشاملة الإلكترونية .

وفـــــاتُـــــه

عاش العلاَّمة ابن عاشور قريبا من المائة عام قضاها في العلم متعلّمـــا ومعلّمـــا ، ومـــصلحا وموجهـــا ومرشدا .

وقد ذكر بعض من ترجموا للشيخ – رحمه الله – أنّ وفاته كانت في الثالث عشر من شهر رجب مـــن عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف (١٣٩٣/٧/١٣) من هجرة الحبيب المصطفى صلوات ربي وســـلامه عليه وحسب التاريخ الميلادي (١٢ أغسطس ١٩٧٣م).

أما تلميذه الأستاذ محمد الحبيب بن الخوجه ، وهو من الذين كانت تربطهم بالشيخ صلة قوي ، فقـــال : إن وفاته كانت يوم الأحد بالمرسى في ١٣٩٤/٧/١٣هـــ ووري التراب في مقبرة الـــزلاج في مدينـــة تونس[١].

رحم الله العلامة ابن عاشور وجزاه عنا وعن الإسلام خير ما جازى به عالما عن أمته.

(١) انظر شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، للشيخ محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ، "الـــدار العربيـــة للكتـــاب"، ١٦٩/١.

الــفــصــلُ الأولِّ

ابن عاشور العالم المُؤلف المصلح ، وتعريفه بمذاهب النصارى

الــمــبــحث الثاني

التَّعريف بتفسير التحرير والتنوير ونقل بعض كلام أهل العلم عنه

التحرير والتنوير

يعتبر كتاب العلامة الطاهر بن عاشور المسمى بـ"التَّحرير والتَّنوير" من أجلِّ كتبه وأطولها وأغزرها فائدة وأقربها إلى قلبه ، وذلك لعدّة أسباب ، أولها : أنه متعلق بتفسير كلام الله جل في علاه وهو القرآن الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١) ، وثانيها : أنه – رحمه الله – أمضى في تأليفه ردحا (٢) من الدهر قارب الأربعين عاما فأودع فيه ما فتح الله عليه من فنون شتى حتى صار هذا التفسير من أعظم التفاسير المؤلفة في القرون المتأخرة ، ثالثها : أنه كان من أكبر أمنياته تفسير كتاب الله تعالى ، يقول المؤلف في مقدمته :[فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد ، تفسير الكتاب المجيد ، الجامع لمصالح الدنيا والدين ، وموثق شديد العرى من الحق المتين ، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها ، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها ؛ طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع ، وتفاصيل من مكارم الأخلاق ، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره ، أو مطالعة كلام مفسره ، ولكني كنت على كلفي بذلك أتجهم التقحم على هذا المجال ، وأحجم عن الزج بسية (٣) قوسي في هذا النضال . اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة ، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة ، فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا ، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى ، وأنا آمل أن يمنح من التيسير ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير].

وقال –رحمه الله– متحدثا عن القرآن الكريم ومعانيه النيرة ومقاصده العظيمة ، وما أودع في تفسيره من الفنون وبخاصة فن دقائق اللغة التي لم تخص بكتاب كما للفنون الأخرى ، فقال : [إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته فالأحكام مبينة في آيات الأحكام ، والآداب في آياتها ، والقصص في مواقعها ، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٢ .

(٢) الردح : المدة الطويلة ، قال الفيروزآبادي :[وأقامَ رَدَحاً من الدَّهْرِ "محركةً" أي : طَويلاً]،القاموس المحيط ، فصل الراء (المكتبة الشاملة الإلكترونية)١/٢٨٠ .

(٣) سية القوس ما عطف من الطرفين منها ، قال الفيروزآبادي :[سِيَةُ القَوْسِ بالكسر مُخَفَّفَةً : ما عُطِفَ من طَرَفَيْها] القاموس المحيط ، فصل الشين ، (المكتبة الشاملة الإلكترونية) ١/١٦٧٤.

أو أكثر . وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان ، ولكن فنّا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن ، وهو فنّ دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى ، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر].

كما أن ابن عاشور اعتنى بتفسيره هذا وأظهر اهتماما كبيرا ببيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال- ولا ريب فإنه من أرباب اللغة والبلاغة — ولم يغفل مسألة فيها من الفوائد الكثير ، والمتحدثون عنها نزر يسير ، وهي مسألة تناسب الآيات بعضها ببعض ، ولهذا قال :[وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي ، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى : «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» إلا أهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع . أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقا على المفسر].

حرص ابن عاشور في هذا التفسير أن لا يترك الكلام عن أغراض السور التي اجتهد في إيضاحها وتعدادها ، معللا ذلك بقوله :[ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله].

وبما أن الطاهر بن عاشور من أئمة اللغة وبلغائها فإنه لم يهمل تحقيق وضبط وتبيين معاني مفردات اللغة العربية ، فقال: [واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة . وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده ، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده ، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير ،

ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير(١)، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير ، ففيه أحسن ما في التفاسير ، وفيه أحسن مما في التفاسير . وسميته : «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» واختصرت هذا الاسم باسم «التحرير والتنوير من التفسير»](٢).

قلت : قوله [ففيه أحسن ما في التفاسير ، وفيه أحسن مما في التفاسير] يعني أنه نقل من كتب التفاسير أحسن ما فيها ، وكتب في تفسيره أحسن مما كتب المفسرون في تفاسيرهم ، فجمع في تفسيره أحسن المنقول وأحسن المقول ، وكلامه هذا قاله –رحمه الله– عن ثقة بكتابه وما بذل فيه من جهد ، لا عن غرور واستعلاء –حاشاه – .

وقال: [فجعلت حقا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها ، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، فإن الاقتصار على الحديث المعاد ، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد ، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف فيما شاده الأقدمون ، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون وفي تلك الحالتين ضر كثير ، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير ، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده وحاشا أن ننقضه أَو نبيده ، علما بأن غمص فضلهم كفران للنعمة ، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة](٣).

في هذا المقطع يبيّن – رحمه الله– منهجه في كتابة تفسيره حيث أفادنا بأنه يقف موقف الحكم بين مدارس التفسير ومناهج المفسرين ، فشق لنفسه طريقا وسطا ، فلم يقف موقف المقلّد الناقل ولا النّاكر الجاحد ، بل زاوج بين الطريقين وألف بين المنهجين ، فعرف للأولين حقهم وقدَرَهم قدْرهم ، فاستفاد مما كتبوه ودونوه ، وأضاف ما فتح الله عليه .

---

(١) جمع نحرير ، قال ابن فارس : [والعالم بالشيء المجرِّب نحرير] ، معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، طبعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، باب : نحر ، ٤٠٠/٥ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٨/١ .

(٣) المرجع السابق ، ٧/١ .

وكانت بداية تأليفه للتفسير عام ١٣٤١هـ، وفرغ منه عام ١٣٨٠هـ.

وبعد فراغه منه ختمه بكلمة عظيمة مؤثرة قال فيها : [قد وفيت بما نويت ، وحقق اللّه ما ارتجيت فجئت بما سمح به الجهد من بيان معاني القرآن ودقائق نظامه وخصائص بلاغته ، مما اقتبس الذّهن من أقوال الأئمّة ، واقتدح من زند لإنارة الفكر وإلهاب الهمّة ، وقد جئت بما أرجو أن أكون وفّقت فيه للإبانة عن حقائق مغفول عنها ، ودقائق ربما جلت وجوها ولم تجل كنها ، فإنّ هذا منال لا يبلغ العقل البشريّ إلى تمامه ، ومن رام ذلك فقد رام والجوزاء دون مرامه ، وإنّ كلام ربّ النّاس ، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس ، وما أدّى هذا الحقّ إلا قلم المفسّر يسعى على القرطاس ، وإنّ قلمي طالما استنّ بشوط فسيح ، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح ، وإذ قد أتى على التمام فقد حقّ له أن يستريح.
وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف. فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر . وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة ، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة ، ومنازع بقريحة شاربة طورا وطورا غارفة ، وما خلا ذلك من تشتت بال ، وتطور أحوال ، مما لم تخل عن الشكاية منه الأجيال ، ولا كفران للّه فإنّ نعمه أوفى ، ومكاييل فضله عليّ لا تطفّف ولا تكفا.
وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن ينجد ويغور ، وأن ينفع به الخاصة والجمهور ، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور. وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقي مدينة تونس](١).

وقد طبع هذا التفسير في دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس . وقد جاء في ثلاثين جزءا ، في خمسة عشر مجلدا ، وعدد صفحات التفسير كلها أحد عشر ألفا ومائة وسبع وتسعون صفحة (١١١٩٧) وهناك طبعات أخرى.

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦٣٦/٣٠-٦٣٧ .

قالوا عن التَّحرير والتَّنوير.

لا يخفى على طلبة العلم وغيرهم من العامة الذين لديهم ميول للقراءة والإطلاع قـدر هـذا التفـسير وأهميته وإثرائه المكتبة الإسلامية وعلى وجه الخصوص التفسير وعلوم القرآن ، وذلك لما فيه من الفوائـد والفرائد والنفائس ما تجعله كتاباً أساساً في كل مكتبة عامة كانت أو خاصة.

يقول الشيخ محمد الحمد في كتابه الموسوم بـ"التقريب لتفسير التحرير والتنوير" عن هذا الكتـاب : [ومن أعظم ما ألف في هذا الشأن في العصور المتأخرة ما رقمته يراعة العلامة الشيخ محمد الطـاهر بـن عاشور وذلك في تفسيره المعروف بـ: "التحرير والتنوير" . فهو تفسير عظيم حافل بما لذ وطاب مـن العلوم ، ولا غرو في ذلك ؛ فصاحبه عالم كبير ، وجهبذ نحرير ، له يد طولى ، وقدْح معلّـى في علـوم شتى . والذي يطلع على مؤلفاته الكثيرة المتنوعة يراها تحمل طابعا مميزا ، وطرزا فريدا لا تجده إلا عنـد الندرة من العلماء ، وفي القليل من المؤلفات]اهـ(١).

ويقول الأستاذ محمد الطاهر الميساوي –حفظه الله– في مقدمة كتاب "مقاصد الشريعة" لابن عاشور: [ومن ثم فلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان ، متنوعة العطاء ، دانية القطوف ، وكأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضم في صعيد واحد : اللغويّ ، والأديب ، والمفسّر ، والمحدّث ، والأصـوليّ ، والفقيه ، والمربيّ ، والمؤرّخ ، والفيلسوف ، والمنطقيّ ، بل وحتّى العالم بأمور الطبّ.
ويكفي لمعرفة مكانة ابن عاشور في التفسير الإحالة على موسوعته "تفسير التحرير والتنوير"](٢).

---

(١) الحمد ، مرجع سابق ، ١/١ .

(٢) الميساوي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

الــفــصــلُ الأولِّ

ابن عاشور العالم المُؤلف المصلح ، وتعريفه بمذاهب النصارى

الــمــبــحــث الثالث

التَّعريفُ بالنَّصارى ونشأة النَّصرانيِّة

تعريف النصرانية

النصرانية اسم للدين الذي جاء به عيسى – عليه السلام – وسميت النصرانية بهذا الاسم لورود كلمة [النصارى] في القرآن الكريم (١)، وقد اختلف في سبب التسمية بهذا الاسم على أقوال ، منها :

الأول : سمّوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم (٢).

الثاني : لأنهم نصروا عيسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ (٣).

الثالث : لأنهم سكنوا مدينة [ناصرة](٤) ثم أطلقت عليهم من باب التغليب.

قال الفيروز آبادي في القاموس:[وناصِرَةُ : بطَبَرِيَّةَ . ونَصْرَانُهُ : بالشامِ ويُقالُ لها ناصِرَةُ ونَصورِيَةُ أيضاً يُنْسَبُ إليها النَّصارى] وقالَ :[والنَّصْرانِيَّةُ والنَّصْرانَةُ : واحدَةُ النَّصارَى . والنَّصْرانيَّةُ أيضاً : دِينُهُمْ ويُقالُ : نَصْرانِيٌّ وأنْصارٌ . وتَنَصَّرَ : دَخلَ في دِينِهمْ . ونَصَّرَهُ تَنْصيراً : جَعَلَهُ نَصْرانِيّاً](٥).

---

(١) وردت كلمة النّصارى في القرآن الكريم في ثمانية مواضع ، خمس منها من دون تعريف [نصارى] وثلاث معرفة [النصارى].

(٢) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) ، "تفسير القرآن العظيم " ، (بيروت – دار الفكر ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) ١٣٢/١.

(٣) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

(٤) الناصرة هي أكبر مدن منطقة الجليل في إسرائيل [بل فلسطين المحتلة] تعتبر المدينة مركزا إداريا وثقافيا والمركز الرئيسي لعرب [٤٨] في الناصرة، بحسب الإنجيل ، فإن الملاك جبرائيل بشر مريم العذراء بولادة يسوع المسيح فنشأ المسيح فيها، وقد عاش المسيح غالبية سني حياته فنُسِبَ إليها ودعي يسوع الناصري، كما يدعو البعض أتباعه بالنصارى.[المصدر : موقع ويكيبيديا الإلكتروني].

(٥) الفيروز آبادي ، مرجع سابق ، مادة "نصر" ، ٦٢٢/١.

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير :[وأما النصارى فهو اسم جمع نصري بفتح فسكون أو ناصـــري نسبة إلى الناصرة وهي قرية نشأت منها مريم أم المسيح عليهما السلام وقد خرجت مريم مـــن الناصـــرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم ، ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصـــري أو النصري فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارى](١).

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٥٣٣/١.

مذاهب النصرانية ، نشأتها و مسمياتها.

تفرق النصارى في دينهم إلى شيع ومذاهب ، وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على إِحدى أَو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أَو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) (١).

وقد تطرق ابن عاشور لمذاهب النصارى الكبرى من حيث النشأة والمسميات ، وذكر اجتماعاتهم وما حصل فيها من اختلافات وتباين في المعتقدات ، حتى وصل الحال بهم إلى الخصام ، فقال رحمه الله:[وظهر بالإسكندرية راهب اسمه [آريوس] قال بالتوحيد وأن عيسى عبد الله مخلوق ، وكان في زمن [قسطنطينوس] سلطان الروم باني القسطنطينية . فلما تدين [قسطنطينوس] المذكور بالنصرانية سنة (٣٢٧) "ميلاديّة"تبع مقالة [آريوس] ، ثم رأى مخالفة معظم الرهبان له ، فأراد أن يوحد كلمتهم ، فجمع مجمعا من علماء النصارى في أواخر القرن الرابع من التاريخ المسيحي ، وكان في هذا المجمع نحو ألفي عالم من النصارى ، فوجدهم مختلفين اختلافا كثيرا ووجد أكثر طائفة منهم على قول واحد ، ثلاثمائة وبضعة عشر عالما فأخذ قولهم وجعله أصل المسيحية ونصره ، وهذه الطائفة تلقب [الملكانية] نسبة للملك.

واتفق قولهم على أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى ، وتقمصت في ناسوته ، أي إنسانيته ، ومازجته امتزاج الخمر بالماء ، فصارت الكلمة ذاتا في بطن مريم ، وصارت تلك الذات ابنا لله تعالى ، فالإله مجموع ثلاثة أشياء : [الأول] : الأب ذو الوجود ، و[الثاني] : الابن ذو الكلمة ، أي العلم ، و[الثالث] : روح القدس . ثم حدثت فيهم فرقة [اليعقوبية] وفرقة [النسطورية] في مجامع أخرى انعقدت بين الرهبان . فاليعقوبية ، ويسمون الآن [أرثودكس] ، ظهروا في أواسط القرن السادس المسيحي ، وهم أسبق من النسطورية قالوا : انقلبت الإلهية لحما ودما فصار الإله هو المسيح فلأجل ذلك صدرت عن المسيح خوارق العادات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فأشبه صنعه صنع الله تعالى مما يعجز عنه غير الله تعالى . وكان نصارى الحبشة يعاقبة].

---

(١) سنن أبي داود ، باب شرح السنة ، ٣٢٣/٤ ، حديث رقم ٤٥٩٦.وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم ١٠٨٢.

وقال [والنسطورية قالت : اتحدت الكلمة بجسد المسيح بطريق الإشراق كما تشرق الشمس من كوة من بلّور ، فالمسيح إنسان ، وهو كلمة الله ، فلذلك هو إنسان إله ، أو هو له ذاتيتان ذات إنسانية وأخرى إلهية ، وقد أطلق على الرئيس الديني لهذه النحلة لقب [جاثليق] .

وكانت النحلة النسطورية غالبة على نصارى العرب ، وكان رهبان اليعاقبة ورهبان النسطوريين يتسابقون لبث كل فريق نحلته بين قبائل العرب . وكان الأكاسرة حماة للنسطورية . وقياصرة الروم حماة لليعقوبية . وقد شاعت النصرانية بنحلتيها في بكر ، وتغلب ، وربيعة ، ولخم ، وجذام ، وتنوخ ، وكلب ، ونجران ، واليمن ، والبحرين . وقد بسطت هذا ليعلم حسن الإيجاز في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾(1) وإتيانه على هذه المذاهب كلها . فلله هذا الإعجاز العلمي](2).

ثم جاء -رحمه الله- بكلام مفصل عن عقيدة التثليث عند النصارى ، فقال : [وقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ أي لا تنطقوا بهذه الكلمة ، ولعلها كانت شعارا للنصارى في دينهم ككلمة الشهادة عند المسلمين ، ومن عوائدهم الإشارة إلى التثليث بالأصابع الثلاثة : الإبهام والخنصر والبنصر ، والمقصود من الآية النهي عن النطق بالمشتهر من مدلول هذه الكلمة وعن الاعتقاد ، لأن أصل الكلام الصدق ، فلا ينطق أحد إلا عن اعتقاد ، فالنهي هنا كناية بإرادة المعنى ولازمه ، والمخاطب بقوله :﴿ وَلَا تَقُولُواْ ﴾ خصوص النصارى ، وثلاثة ، خبر مبتدأ محذوف كان حذفه ليصلح لكل ما يصلح تقديره من مذاهبهم من التثليث ، فإن النصارى اضطربوا في حقيقة تثليث الإله كما سيأتي ، فيقدر المبتدأ المحذوف على حسب ما يقتضيه المردود من أقوالهم في كيفية التثليث مما يصح الإخبار عنه بلفظ ثلاثة من الأسماء الدالة على الإله ، وهي عدة أسماء ، ففي الآية الأخرى﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾(3) وفي آية آخر هذه السورة ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(4) أي إلهين

---

(1) سورة النساء ، الآية : 171 .

(2) ابن عاشور ، مرجع سابق ، 6/56-57 .

(3) سورة المائدة ، الآية : 73 .

(4) سورة المائدة ، الآية : 116 .

مع الله ،كما سيأتي ، فالمجموع ثلاثة:كل واحد منهم إله ولكنهم يقولون : إن مجموع الثلاثة إله واحـــد أو اتحدت الثلاثة فصار إله واحدا][1].

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٥٤/٦ .

اضطراب النصارى في عقيدة التثليث .

ما من عقيدة أو مذهب يحكم فيه أهله عقولهم إلا ضلوا وأضلوا ، وما من أتباع دين حرفوا في دينهم إلا ازدادوا انحرافاً كل ما تقدم بهم الزمن ، والنصارى مثال حي لهذا الأمر ، فقد اختلفوا وافترقوا واقتتلوا بينهم ، وكل حزب بما لديهم فرحون.

قال ابن عاشور:[والتثليث أصل في عقيدة النصارى كلهم ، ولكنهم مختلفون في كيفيته . ونشأ من اعتقاد قدماء الإلهيين من نصارى اليونان أن الله تعالى [ثالوث] ، أي أنه جوهر واحد ، وهذا الجوهر مجموع ثلاثة أقانيم ، واحدها [أقنوم]- بضم الهمزة وسكون القاف-. قال في "القاموس" : هي كلمة رومية ، وفسره القاموس بالأصل... وعبروا عن مجموع الأقانيم الثلاثة بعبارة [آبا- ابنا- روحا قدسا] وهذه الأقانيم يتفرع بعضها عن بعض :

فالأقنوم الأول : أقنوم الذات أو- الوجود القديم وهو الأب وهو أصل الموجودات.

والأقنوم الثاني : أقنوم العلم ، وهو الابن ، وهو دون الأقنوم الأول ، ومنه كان تدبير جميع القوى العقلية.

والأقنوم الثالث : أقنوم الروح القدس ، وهو صفة الحياة ، وهي دون أقنوم العلم ومنها كان إيجاد عالم المحسوسات.

وقد أهملوا ذكر صفات تقتضيها الإلهية ، مثل القدم والبقاء ، وتركوا صفة الكلام والقدرة والإرادة ، ثم أرادوا أن يتأولوا ما يقع في الإنجيل من صفات الله فسموا أقنوم الذات بالأب ، وأقنوم العلم بالابن ، وأقنوم الحياة بالروح القدس ، لأن الإنجيل أطلق اسم الأب على الله ، وأطلق اسم الابن على المسيح رسوله ، وأطلق الروح القدس على ما به كون المسيح في بطن مريم ، على أنهم أرادوا أن ينبهوا على أن أقنوم الوجود هو مفيض الأقنومين الآخرين فراموا أن يدلوا على عدم تأخر بعض الصفات عن

بعض فعبروا بالأب والابن ، (كما عبر الفلاسفة اليونان بالتولد) . وسموا أقنوم العلم بالكلمة لأن من عبارات الإنجيل إطلاق الكلمة على المسيح ، فأرادوا أن المسيح مظهر علم الله ، أي أنه يعلم ما علمه الله ويبلغه ، وهو معنى الرسالة إذ كان العلم يوم تدوين الأناجيل مكللا بالألفاظ الاصطلاحية للحكمة الإلهية الرومية ، فلما اشتبهت عليهم المعاني أخذوا بالظواهر فاعتقدوا أن الأرباب ثلاثة وهذا أصل النصرانية ، وقاربوا عقيدة الشرك ثم جرهم الغلو في تقديس المسيح فتوهموا أن علم الله اتحد بالمسيح ، فقالوا : إن المسيح صار ناسوته لاهوتا ، باتحاد أقنوم العلم به ، فالمسيح جوهران وأقنوم واحد ، ثم نشأت فيهم عقيدة الحلول ، أي حلول الله في المسيح بعبارات متنوعة ، ثم اعتقدوا اتحاد الله بالمسيح ، فقالوا : الله هو المسيح .

هذا أصل التثليث عند النصارى ، وعنه تفرعت مذاهب ثلاثة أشار إلى جميعها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ﴾ وقوله :﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(١) وقوله : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وكانوا يقولون : في عيسى لاهوتية من جهة الأب وناسوتية- أي إنسانية- من جهة الأم](٢).

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٧ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/٥٥-٥٦ .

تحريف النصارى لأناجيلهم

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[1]

هذه الآية فيها تصريح بيّن واضح من عيسى عليه السلام بأنه عبد لله ورسول منه ، وهو تكذيب لبني إسرائيل الذين ألهوه ورفعوه مقاما فوق مقامه ، ولذلك قام النصارى بتجاهل هذا الخبر وأهملوه ، وهذا يعد من التحريف والتبديل في كتابهم.

قال ابن عاشور : [كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها [2]، وهو طيّ يُتعجّب منه . ويدلّ على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة ، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم .والابتداء بوصف العبودية لله ألقاه الله على لسان عيسى لأن الله علم بأن قوما سيقولون : أنه ابن الله][3].

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٣٠ .

(٢) الضمير عائدٌ على مريم عليها السلام .

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٦/٩٨ .

لماذا اتخذ النصارى جهة المشرق قبلة لهم ؟

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾(١).

قال ابن عاشور :[ونكّر المكان إبهاما له لعدم تعلّق الغرض بتعيين نوعه إذ لا يفيد كمـــالا في المقـــصود من القصة . وأمّا التصدي لوصفه بأنه شرقي فللتنبيه على أصل اتخاذ النصارى الشرق قبلة لـــصلواتهم إذ كان حمل مريم بعيسى في مكان من جهة مشرق الشمس . كما قال ابن عباس :" إني لأعلم خلـــق الله لأي شيء اتخذت النصارى الشرق قبلة ، لقوله تعـــالى ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾(٢) أي أن ذلك الاستقبال ليس بأمر من الله تعالى . فذكر كون المكان شرقيا نكتة بديعة من تاريخ الشرائع مع مـــا فيه من مؤاخاة الفواصل](٣).

---

(١) سورة مريم ، الآية : ١٦ .

(٢) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطـــبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـــ] ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـــ - ٢٠٠٠ م) قال :"حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عامر، عن ابن عباس، قال: إني لأعلم خلق الله لأيّ شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله: فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة". ١٦٢/١٨ .

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٨٠/١٦ .

الــفــصــل الــثـانـي

الشبهة : تعريفٌ وبيانٌ لكيفية الردِّ عليها ، وجهود أعداء الدينِ في بثِّ الشبهات

الــمــبــحــثُ الأولِّ

تعريفُ الشُّبهةِ وكيفيِّة الردِّ العلميِّ عليها

تعريف الشبهة

تعريف الشبهة في اللغة : قال الجوهري في الصحاح :[والشُبهةُ : الالتباسُ . والمُشتبِهاتُ من الأمور : المشكلات . والمتشابهات: المتماثلات](١).

وقال في المصباح المنير :[و"اشْتَبَهَتِ" الأمور و"تَشَابَهَتْ" التبست فلم تتميز و لم تظهر ومنه "اشْتَبَهَتِ" القبلة ونحوها، و"الشُّبْهَةُ" في العقيدة المأخذ المُلْبِس سميت شبهة؛ لأنها "تُشْبِهُ" الحق، و"الشُّبْهَةُ" العلقة والجمع فيهما "شُبَهٌ" و"شُبُهَاتٌ" مثل غرفة وغرف و غرفات ، و"تَشَابَهَتِ" الآيات تساوت أيضا، و"شَبَّهْتُهُ" عليه "تَشْبِيهًا" مثل لبسته عليه تلبيساً وزناً ومعنى "فَالْمُشَابَهَةُ" المشاركة في معنى من المعاني و"الاشْتِبَاهُ" الالتباسُ](٢).

وجاء في تهذيب اللغة :[وروَى أبو العباس عن ابن الأعرابيّ أنّه قال : شَبِّه الشيءُ : إذا أَشْكَل ، وشَبَّه : إذا ساوَى بين شيءٍ وشيء . قال : وسأَلْتُه عن قوله :﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾(٣) فقال : ليس من الاشتباه المُشْكِلِ ، إنّما هو من التَّشابُه الذي هو بمعنى الاشتباه .

وقال الليث : المُشبهات من الأمورِ : المُشْكِلات ، وتقولُ : شَبَّهتَ عليّ يا فلانُ : إذا خَلَّط عليك ، واشْتَبَه الأمر : إذا اختَلط ، وتقول : أَشْبَه فلانٌ أباه ، وأنتَ مثله في الشَّبه والشِّبْه ، وفيه مَشابِه من فلان ، و لم أَسمع فيه مَشْبَهة من فلان ، وتقول : إنِّي لفي شُبْهَةٍ منه](٤) .

---

(١) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" ، ط ٤ (بيروت ، دار العلم للملايين يناير ١٩٩٠) ،فصل "الشين" مادة "شبه" ٨٦/٧.

(٢) الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي"، (بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق يوسف محمد الشيخ ، كتاب "الشين" مادة " ش ب هـ" ١/ ١٥٨.

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .

(٤) الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، "تهذيب اللغة" ، ط ١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م)، تحقيق:محمد عوض مرعب ، مادة "شبه" ٥٩/٦ .

وقال ابن منظور :[والشِّبْهُ والشَّبَهُ النُّحاس يُصْبَغُ فيَصْفَرُّ وفي التهذيب ضَرْبٌ من النحاس يُلْقى عليه دواءٌ فيَصْفَرُّ قال ابن سيده سُمّيَّ به لأَنه إذا فُعِلَ ذلك به أَشْبَه الذهبَ بلونه](١).

حاصل هذه التعريفات اللغوية أن المعنى لكلمة [شُبْهة] هو الالتباس والخلط والتماثل ، كما أن الشبهة في المعنى الاصطلاحي لها عدة معان ، فمنها –مثلا– الحد الفاصل بين الحلال والحرام كما جاء في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"الحلالُ بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما أمور مشتبهةٌ"(٢)، وهو الالتباس في الحكم التكليفي(٣)، هل هو من قبيل الحرام أم من الحلال !!؟ ولذلك نهانا عليه الصلاة والسلام من الاقتراب للأمور المشتبهة خشية الوقوع في الحرام.

ومن معاني الشبهة –أيضا– ما يرد على القلب من الخواطر التي تحول بينه وبين معرفة الحق ، وتسمى بالشبهة العقدية ، وقد أحسن الإمام ابن القيم –رحمه الله– عندما تحدث عنها بقوله :[والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة فان تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير شاكا مرتابا](٤).

وهذا النوع هو عين ما وقع فيه النصارى في دينهم ، حيث تواردت الشبهات على قلوبهم فلم يهتدوا إلى ردها سبيلا ، حينا جهلا وحينا ركوبا لأهوائهم ، فضلوا وأضلوا وانحرفوا عن دينهم انحرافا كبيرا ، ولو أنهم باقون على دينهم الصحيح الذي جاءهم به عيسى – عليه السلام – لما رفضوا الإسلام ومتابعة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الله أخبرنا في القرآن الكريم أن عيسى قد بشر بني إسرائيل بأن الله مرسل رسولا من بعده فقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، "لسان العرب" ، ط ١ (بيروت ، دار صادر) مادة "شبه" ١٣ /٥٠٩

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ، حديث رقم ٢٠٥١ ، حسب ترقيم فتح الباري.

(٣) الأحكام التكليفية عند جمهور أهل العلم خمسة "الإباحة والإيجاب والندب والكراهة والتحريم ، انظر كتب أصول الفقه للاستزادة.

(٤) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ١٤٠/١.

﴿ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١)، لكنهم حرفوا كثيرا مما كان في الإنجيل فطمسوا ما لم يوافق أهواءهم وأضافوا من عند أنفسهم طقوسا ومعتقدات باطلة في حق رب العالمين وفي حق عيسى –عليه السلام- فلبسوا وخلطوا على من جاء بعدهم حتى التبس عندهم الحق بالباطل ، فظنوا الحق الذي هو توحيد الله بالربوبية والألوهية باطلا فرفضوه واستبعدوه ، وظنوا الباطل الذي فيه نسبة الولد والزوجة لله الفرد الصمد ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾(٢)، وفيه إعطاء عيسى –عليه السلام- فوق استحقاقه من حيث التأليه ونسبة الولدية حقا فقربوه وصوبوه !!!.

ولذلك تراهم في تناقضات عجيبة غريبة ، وشبهات عديدة مريبة ، وهذا ديدن من أعرض عن الحق واتبع هواه ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الصف ، الآية : ٦ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة القصص ، الآية : ٥٠ .

بيان كيفية الرد على الشبهات

إن إزالة الشبهات من أصول الدين ، لأن الله جل في علاه قد رد على المشركين وأهل الكتاب ودحض شبهاتهم وأقوالهم في القرآن الكريم فقال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴾(١) فكل من يريد إثارة الشبهات ويجادل بالباطل له حجة وله علم ، ولكن حجته داحضة مردودة ، ولذلك فإنه من الواجبات أن يقوم البعض ممن آتاه الله علما وحكمة بإزالة الشبهات وذلك بالرد عليها وتفنيدها ، حتى لا يلتبس الحق بالباطل فيضل الناس.

وللرد على الشبهات شروط وآداب وأساليب ، شروط تتعلق بشخصية الراد وآداب وأساليب تتعلق بذات الرد عليها ، ونلخصها بالآتي:

أولا : تحقيق ركني العمل :

١- إخلاص النية لله تعالى : فيجب أن تتوفر سلامة النّية والقصد ، مخلصا في ردوده لله تعالى لحراسة الشريعة والذب عنها ، ودلالة الناس على الهدى .

٢- المتابعة للشريعة : وعليه فلا يدفع الباطل بمثله ، وإنما يبطل الباطل بالحق وفي الحق غنى عن الباطل .

ثانيا : يجب أن يكون المتصدي للرد على الشبهات ذا علم واطلاع وحكمة. قال تعالى ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ﴾(٢) ، وقال عزوجل ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾(٣)، فالجاهل قليل الإطلاع قد يفسد أكثر مما يصلح ، وكذلك ضعيف الحجّة ، فالرد على الشبهات تستلزم من المتصدي لها أن يكون عالما بالشبهة وقادرا على ردها وتفنيدها بما آتاه الله من

(١) سورة الشورى ، الآية : ١٦.

(٢) سورة الإسراء ، من الآية : ٣٥ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ٢٦٩ .

العلم والحكمة ، حتى تتجلى الغاية و الفائدة المرجوة من الرد على الشبهات ، وهو إظهار الحق وتمييزه من الباطل الذي التبس به واختلط فيه.

ثالثا : يجب –أيضا– أن يطلع على الشبهات من مصدرها الأصلي الموثوق ، وألا يكتفي بمجرد السماع ، لأن مجرد السماع من غير تمحيص وتحقق قد يوقع في الحرج ، ولأن ديننا يحثنا على التثبت دائما وألا نستعجل في قبول الأخبار وإطلاق الأحكام ، قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾(1).

رابعا : الفهم التام للشبهة قبل الرد ، فمن الخطأ البين العجلة في مثل هذه الأمور ، فعدم الفهم بشكل صحيح قد يقوي الشبهة ويضعف حجة الراد عليها وموقفه ، لأن الجهد المبذول في الرد سيكون في مجال والشبهة في مجال آخر .

خامسا : مراعاة حال صاحب الشبهة ، فلا يستوي من التبس عليه الأمر وظن الباطل حقا مع من قصد التلبيس على الناس ، فالأول مخدوع مسكين ، والآخر من جنس الشياطين ، والتسوية في الرد بين الاثنين في الأسلوب والطريقة من جهل الجاهلين .

---

(1) سورة الحجرات ، الآية : 6 .

الــفــصــل الثاني

الشبهة : تعريف وبيان لكيفية الرد عليها ، وجهود أعداء الدين في بث الشبهات

الــمــبــحث الثَّاني

إلقاء الضوء على جهود أعداء الدين من النصارى في إلصاق التهم والشبهات على الدين الإسلامي

جهود أعداء الدين من النصارى في إلصاق التهم والشبهات على الدين الإسلامي

قصة الصراع بين الخير والشر والحق والباطل قصة بعيدة الأمد كثيرة الفصول ، بـــدأت منـــذ وجـــد الإنسان على هذه البسيطة ، وهي مستمرة باستمرار هذا الإنسان.

وعندما ظهر نور الإسلام على وجه الأرض منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، لم يتوقف ســـيل الشبهات من أعدائه الذين يثيرونها تشكيكا في مصادره وتعاليمه ومبادئه ونبيه صلى الله عليه وسلم .
ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حينا بعد حين بأشكال وأساليب مختلفة يحاول مروجوهـــا أن يـــضيفوا عليها طابعا علميا زائفا.

ومن العجيب في هذا الصدد أن يكون الإسلام الدين العالمي الخاتم والذي كان آخر حلقـــة في سلـــسلة اتصال السماء بالأرض ، قد اختص من بين كل الديانات بأكبر قدر من الهجـــوم وإثـــارة الـــشبهات حوله.

ووجه الغرابة أن الإسلام جاء بأفضل قيم عرفتها البشرية جمعاء ، وفوق ذلك فقد أمر الـــداخلين فيـــه بالإيمان بكل الأنبياء السابقين وما أنزل معهم من الكب ، بل جعل الإيمان بهم عنصرا أساسيا في عقيـــدة المسلم بحيث لا تصح منه عقيدته إلا بالإيمان بهم.

فكان الأجدر بهؤلاء الأعداء أن يقابلوا هذا التسامح بتسامح مماثل يقلل من عدد المناهضين لهذا الدين ، ولكنه الضلال وما تهوى الأنفس وقد تغلفت قلوبهم بالحسد ، إذ تعرض الإسلام لحمـــلات ضـــارية — على مدى تاريخه — من قبلهم ، وليس هناك في هذه الأزمنة الأخيرة دين يتعرض لظلم فادح وهجمات شرسة وحملات وافتراءات كاذبة من الإعلام الدولي كما يتعرض له الدين الإسلامي.

وكان للنصارى ومن نحا نحوهم قصب السبق والحظ الأوفر في مثل هذه الهجمـــات ، حـــتى تنوعـــت هجماتهم وتبدلت أساليبهم وتطورت مناهجهم ، وقد كان دينهم مما شابه التحريف والمسخ ولكنه ظل

دينا له أتباع يخضعون له ويؤمنون به ، ومن هنا بدأ أنصاره بمحاربة الإسلام ومحاولة القضاء عليه في عهد النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وذلك في غزوة "مؤتة" وكانت في السنة الثامنة من الهجرة الشريفة ، بعدها عزم النبي صلى الله عليه وسلم على مواجهتهم في غزوة "تبوك" في السنة التاسعة من الهجرة ، إلا أن الله لم يقدر قتالا ، ثم جاءت بعد ذلك الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، فكانت معارك كبرى منها معركة "اليرموك" التي كانت في عهد الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، والتي أزالت النفوذ البيزنطي من الشام كلها وودع "هرقل" دمشق وداعا لا لقاء بعده ، ودخل المسلمون سنة [١٥] من الهجرة القدس وسلم الفاروق مفاتيحها ، وتوالت بعد ذلك الفتوحات في عهد بني أمية ومن جاء بعدهم من خلفاء بني العباس.

وفي عام [٤٨٩هـ] بدأت الحروب الصليبية على يد متطوعين لسلب القدس من أيدي المسلمين ، وتلتها حروب ومعارك أسيلت فيها كثير من دماء المسلمين ، و لم تنته هذه المرحلة إلا في عهد القائد صلاح الدين الأيوبي عندما انتصر على الصليبيين في عام [٥٨٣هـ] ودحرهم.

بعد ذلك غير النصارى استراتجياتهم لغزو الإسلام والمسلمين وهذه بدأت مع حركة الاكتشاف ، والتي كانت ذات أبعاد عقدية ، ومهدت لما عرف بـ"الاستعمار" الأوربي ، ومن أشهر هذه الرحلات رحلة [فاسكو ديجاما] حيث قالوا :[الآن طوقنا رقبة العالم الإسلامي ؛ فلم يبق إلا جذب الحبل فيختنق](١).

علموا أنهم لن يستطيعوا استباحة بيضة المسلمين بالسلاح والقوة والعتاد وإنما بغزو من نوع آخر ، ألا وهو غزو العقول والأفكار حتى يبتعد المسلم عن دينه عقيدة وعبادة وفكرا فيكون صيدا سهلا لأعداء الله وأعداء دينه ، فالمسلم المتمسك بإسلامه المعتز بدينه لا يستطيعون إليه سبيلا.

فقاموا ببث الشهوات بين مجتمعات المسلمين كالترويج للمسكرات وتسميتها بغير اسمها ، والدعوة إلى سفور النساء وتشجيع الاختلاط المحرم ، والاستعانة ببعض بني جلدتنا الذين يتحدثون بألسنتنا ممن خدع وانساق خلف هواه طمعا في دنيا زائلة ، فكانوا من الذين باعوا دينهم بدنياهم ، حتى تحقق

(١) راجع كتاب "حاضر العالم الإسلامي" د. جميل المصري.

لأعداء الملة كثير مما خططوا له ورسموا ، وذلك بفساد بعض المجتمعات الإسلامية التي تقبلت تلك الأفكار الهدامة .

ولكن "أنبه" إلى أن كثيرا من تلك المجتمعات الإسلامية إنما دفعت إلى الضلال دفعا عن طريق حكومات لا تقيم للإسلام وزنا ولا ترقب في المسلمين إلا ولا ذمة ، وذلك لأن الأصل في المجتمعات الإسلامية بشكل عام حبها لدينها وولاؤها له ولا ترضى عن الإسلام وتعاليمه وأحكامه بديلا أيا كان.

ولهذا وذاك رأى أعداء الدين أن ينتهجوا نهجا آخر مواز لنهج الشهوات يضلون به من بقي من أهل الإسلام الذين ثبتوا على دينهم و لم يرضخوا لأهوائهم ، ألا وهو نهج الشبهات ، فالذي لا يقدرون على إضلاله بالشهوات ينتقلون معه إلى أسلوب بث الشبهات بأنواعها وذلك لتشتيت فكر المسلم وزعزعة ثقته بنفسه وبدينه ، ومن تلك الشبهات ما يتعلق بالقرآن ، ومنها ما يتعلق بالنبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه ، ومنها –أيضا– ما يتعلق بشريعة الإسلام وأحكامه الشرعية ، كالحدود والميراث ، والأحكام الخاصة بالنساء ، وغيرها من الأمور التي يدندنون حولها.

ولكن المؤمن الذكي الزكي عنده من الإيمان واليقين ما يجعله مطمئنا لدينه وعقيدته ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(١).

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧ .

الــفــصــلُ الــثــالــث

بيان الرد على شبهات النصارى من كلام الإمام ابن عاشور مع النقد والتعليق

المبحث الأول : شبهة اتخاذ الولد والرد عليها.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).

زعم النصارى أن الله اتخذ عيسى ابنا له – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا- وذلك لأن عيسى – عليه السلام – ولد من غير أب على غير جري العادة ، فغلوا فيه وادعوا بأنه ابن لله ، وهذه الشبهة والفرية على الله من أعظم الفرى ، وأصرح الكذب ، لأن الله جل وعلا أحد فرد صمد ، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ، و لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وكل من في السموات والأرض عباد له ، لا حاجة له عندهم ، بل هم الضعفاء المحتاجون ، الفقراء الذليلون ، ولهذا وقف ابن عاشور –رحمه الله – عند هذه الآيتين وقفة جازمة حازمة يرد فيها على هذا الزعم الباطل ، ويفند هذه الشبهة الداحضة ، مستدلا بما جاء فيها من المفردات البليغة.

قال ابن عاشور : [ووصف الله تعالى ببديع السماوات والأرض مراد به أنه بديع ما في السماوات والأرض من المخلوقات وفي هذا الوصف استدلال على نفي بنوة من جعلوه ابنا لله تعالى لأنه تعالى لما كان خالق السماوات والأرض وما فيهما ، فلا شيء من تلك الموجودات أهل لأن يكون ولدا له بل جميع ما بينهما عبيد لله تعالى كما تقدم في قوله:﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ ولهذا رتب نفي الولد على كونه﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ في سورة الأنعام بقوله ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾(٢).

وقوله ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ إلخ ، كشف لشبهة النصارى واستدلال على أنه لا يتخذ ولدا بل يكوّن الكائنات كلها بتكوين واحد وكلها خاضعة لتكوينه وذلك أن النصارى توهموا أن

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ١١٦،١١٧ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٠١ .

مجيء المسيح من غير أب دليل على أنه ابن الله فبين الله تعالى أن تكوين أحوال الموجودات من لا شـــيء أعجب من ذلك وأن كل ذلك راجع إلى التكوين والتقدير ، سواء في ذلك ما وجد بواســطة تامــة أو ناقصة أو بلا واسطة ، قـــال تعـــالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).فليس تخلق عيسى من أم دون أب بموجب كونه ابن الله تعالى.

و [كان] في الآية تامة لا تطلب خبرا أي يقول له : إيجد فيوجد . والظاهر أن القول والمقول والمـــسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما بأن شبه فعل الله تعالى بتكـــوين شـــيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة بتوجه الآمر للمأمور بكلمة الأمر وحصول امتثاله عقب ذلـــك لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بهـــا في الأمـــور الـــتي لا تتـــسع اللغـــة للتعـــبير عنها]اهـــ(٢).

وحاصل كلام الإمام ابن عاشور على هاتين الآيتين هو بيان زيف هذا الزعم الباطل ، والرد على هـــذه الشبهة ، وبين – رحمه الله – أن قوله جل وعلا : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لها من الدلائل والمعاني ما يفيد بأنه الخالق لكل شيء ، وهذا وصف يستدل به على نفي أن يتخذ الله ولدا من خلقه ، فلا شيء منهم أهل لأن يكون ولدا له ، بل كل الخلق له عبيد.

وللإمام القرطبي – رحمه الله – كلام جميل فيه – أيضا – رد على هذه الشبهة ، فقال : [قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴾ هذا إخبار عن النصارى في قـــولهم ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ . قولـــه ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ ﴾ الآية. خرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قـــال: (قـــال الله كذّبني ابن آدم و لم يكن له ذلك وشتمني و لم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إيّاي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا)(٣)....(سبحان) منـــصوب

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ٦٨٧/١-٦٨٨.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، حديث رقم ٤٤٨٢ .

على المصدر ، ومعناه التبرئة والتتريه والمحاشاة ، من قولهم ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ ، بل هو الله تعالى واحد في ذاته ، أحد في صفاته ، لم يلد فيحتاج إلى صاحبة ... و لم يولد فيكون مسبوقا ، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا ! ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [ما] رفع بالابتداء والخبر في المجرور ، أي كل ذلك له ملك بالإيجاد والاختراع . والقائل بأنه اتخذ ولدا داخل في جملة السموات والأرض . لا يكون الولد إلا من جنس الوالد ، فكيف يكون للحق سبحانه أن يتخذ ولدا من مخلوقاته وهو لا يشبهه شيء !!؟ وقد قال ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾(١) فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث . والقدم يقتضى الوحدانية والثبوت . فهو سبحانه القديم الأزلي الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد . ثم إن البنوة تنافي الرق والعبودية ... فكيف يكون ولد عبدا !!؟ هذا محال ، وما أدى إلى المحال محال]اهـ (٢).

وبالنظر إلى نصوص الإمامين – رحمهما الله - نجد أنهما قد تقاربا في طريقة الرد حيث استعملا اللغة – وهم من أربابها – وما تقتضيه في نقض هذه الشبهة . هذا من جهة .

ومن جهة أخرى : فقد نفى ابن عاشور هذا الزعم ، بدلالة أن الله هو الخالق ، وأنه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، ولما كان عجب النصارى من عيسى عليه السلام وكيف جاء من غير أب ، استدل بقوله تعالى الذي يبين فيه أن خلق آدم أبي البشر عليه السلام أعجب من خلق عيسى لأنه خلق من غير أب ولا أم بل خلقه الله عز و جلّ من تراب.

أما القرطبي –رحمه الله- فقد نفى هذا الزعم بطريقة أخرى مغايرة لطريقة ابن عاشور-رحمه الله- ، حيث بين – القرطبي – أن الله جل وعلا ليس بحاجة لأحد من خلقه حتى يتخذ منهم ولدا ، وبين أن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد ، والله ليس له شبيه من خلقه ، ثم استدل بكلام متين وهو أن

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٩٣ .

(٢) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، "الجامع لأحكام القرآن"ط١، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م) ٥٩/٢.

الولدية تقتضي الجنسية والحدوث ، والقدم يقتضي الوحدانية والثبوت ، فهـــو ســـبحانه القـــديم الأزلي الواحد . والبنوة تنافي العبودية ، ولا يكون العبد ولدا .

المبحث الثاني : شبهة حصر الهدى في النصرانية والرد عليها.

قـــال تعالى ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١).

في هذه الآية يزعم النصارى أن الهدى معهم ، وأن من أراد أن يهتدي فليتبع ملتهم ، فرد الله عليهم بأن الهدى في اتباع ملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، حنيفا أي مائلا إلى دين الإسلام ، و لم يكن من المشركين ، ولهذا كان لابن عاشور رد على هذه الشبهة وتفنيد لها.

قال ابن عاشور :[﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ ﴾ الظاهر أنه عطف على قوله ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾(٢)، فإنه بعد أن ذمهم بالعدول عن تلقي الإسلام الذي شمل خصال الحنيفية بين كيفية إعراضهم ومقدار غرورهم بأنهم حصروا الهدى في اليهودية والنصرانية أي كل فريـــق منهم حصر الهدى في دينه . ووجه الحصر حاصل من جزم ﴿ تَهْتَدُواْ ﴾ في جواب الأمر فإنه على تقدير شرط فيفيد مفهوم الشرط أن من لم يكن يهوديا لا يراه اليهود مهتديا ومن لم يكن نـــصرانيا لا يـــراه النصارى مهتديا ، أي نفوا الهدى عن متبع ملة إبراهيم وهذا غاية غرورهم . والواو في (قـــال) عائـــدة لليهود والنصارى بقرينة مساق الخطاب في ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾(٣) وقولـــه: ﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾(٤). و (أو) في قوله ﴿ أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ تقسيم بعد الجمع لأن السامع يرد كلا إلى مـــن قالـــه (٥) ، وجـــزم ﴿ تَهْتَدُواْ ﴾ في جواب الأمر للإيذان بمعنى الشرط ليفيد بمفهوم الشرط أنكم إن كنتم على غـــير اليهوديـــة والنصرانية فلستم بمهتدين .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٠ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية : ١٣٣ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية : ١٣٤ .

(٥) المعنى أنَّ اليهودَ قالوا : كونوا هوداً تهتدوا ، والنَّصارى قالوا: كونوا نصارى تهتدوا ، والسامع يفهم هذا ويردُّ كلَّ قولٍ إلى قائله.

﴿ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ جردت جملة (قل) من العاطف لوقوعها في مقام الحوار مجاوبة لقولهم ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ على نحو ما تقدم ، أي بل لا اهتداء إلا بإتباع ملة إبراهيم فإنها لما جاء بها الإسلام أبطل ما كان قبله من الأديان ...].

وقال :[وقد دلت هذه الآية على أن الدين الإسلامي من إسلام إبراهيم . وقوله ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ جملة هي حالة ثانية من إبراهيم وهو احتراس لئلا يغتر المشركون بقوله ﴿ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ أي لا نكون هودا ولا نصارى فيتوهم المشركون أنه لم يبق من الأديان إلا ما هم عليه لأنهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم وإلا فليس ذلك من المدح له بعد ما تقدم من فضائله]اهـ[1].

الدين الحق هو دين الإسلام ، وهو دين الهدى ، وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام حنيفا مسلما ، واليهود والنصارى قالوا هذا القول غرورا بدينهم وإعراضا عن دين الإسلام دين إبراهيم ، ولهذا ذمهم الله جل وعلا ، وجعلهم من الذين سفهوا أنفسهم لرغبتهم عن الدين القويم .

وفيما جاء في النقل السابق ، فقد بين ابن عاشور مقدار غرور النصارى حينما نفوا الهدى حتى عن متبع ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وذلك في حصرهم الهدى في دينهم ، وأن من لم يكن نصرانيا فهو غير مهتد ، و لا يخفى أن إبراهيم عليه السلام ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، فهو بهذا القول الذي تفوه به هؤلاء الضلال غير مهتد أيضا ، والذين اتبعوه غير مهتدين !!!.

وللقرطبي تعليق يسير على هذه المقولة ، حيث قال : [دعت كل فرقة إلى ما هي عليه ، فرد الله تعالى ذلك عليهم فقال :﴿ بَلۡ مِلَّةَ ﴾ أي قل يا محمد : بل نتبع ملة ، فلهذا نصب الملة . وقيل : المعنى بل نهتدي بملة إبراهيم ، فلما حذف حرف الجر صار منصوبا ... وسمي إبراهيم حنيفا لأنه حنف إلى دين الله وهو الإسلام]اهـ[2].

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١/٧٣٦-٧٣٧ .

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ٢/٩٥ .

فالقرطبي – رحمه الله – لم يطل الكلام هنا واكتفى بالمعنى العام ، وبين المعنى المقصود من قولـــه تعـــالى ﴿ بَلْ مِلَّةَ ﴾ وذكر احتمالين لهذه الجملة معناهما واحد ، وهو من الاختلاف اللفظي ، فـــ(بل نهتدي) و (بل نتبع) تؤدي لمعنى واحد ، المقصود منه اتباع الهدى الذي جاء به إبراهيم عليه الـــصلاة والـــسلام ، ولذلك كان كلام ابن عاشور أمتن وأوضح في نقض هذه الشبهة.

المبحث الثالث : شبهة اللَّمز بقبلة المسلمين والردّ عليها.

قالَ تعالى :﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ .... ﴾(١).

بعد أن أمر الله جلَّ في علاه نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالتحول من القبلة التي كان يستقبلها في صلاته إلى المسجد الحرام ، وذلك بقوله تعالى :﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ.... ﴾(٢)، اغتاظ أهل الكتاب من هذا الأمر ، وجرهم غيظهم وحسدهم للمسلمين ، أن لمزوهم بتغييرهم لقبلتهم ، وأنهم – بزعمهم – كانوا على برٍّ باستقبالهم بيت المقدس ، فتركوا هذا البر إلى غيره ، ولهذا قال سبحانه وتعالى :﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ... ﴾(٣) فكان هذا اللمز من شبه أهل الكتاب من اليهود والنصارى التي أثاروها على المسلمين ، فكان لابن عاشور بيان عند هذه الآية .

فقال – رحمه الله – :[فهذا إقبال على خطاب المؤمنين بمناسبة ذكر أحوال أهل الكتاب وحسدهم المؤمنين على اتباعِ الإسلام مراد منه تلقين المسلمين الحجة على أهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها ففي ذلك تعريض بأهل الكتاب . فأهل الكتاب رأوا أن المسلمين كانوا على شيءٍ من البر باستقبالهم قبلتهم فلما تحولوا عنها لمزوهم بأنهم أضاعوا أمرا من أمورِ البر . يقول : عد عن هذا وأعرضوا عن تهويل الواهنين وهبوا أن قبلة الصلاة تغيرت أو كانت الصلاة بلا قبلة أصلا ، فهل ذلك أمر له أثر في تزكية النفوس واتصافها بالبر!!؟ فذكر المشرق والمغرب اقتصار على

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٤ .

(٣) يقول القرطبي:[قرأ حمزة وحفص" الْبِرَّ" بالنصب ، لأنَّ ليس من أخوات كان ، يقع بعدها المعرفتان فتجعل أيهما شئت الاسم أو الخبر ، فلما وقع بعد" ليس":" البر" نصبه، وجعل" أَنْ تُوَلُّوا" الاسم، وكان المصدر أولى بأن يكون اسما لأنه لا يتنكر، والبر قد يتنكر والفعل أقوى في التعريف. وقرأ الباقون" البر" بالرفع على أنه اسم ليس، وخبره" أَنْ تُوَلُّوا"، تقديره: ليس البر توليتكم وجوهكم، وعلى الأول ليس توليتكم وجوهكم البر](الجامع لأحكام القرآن ٢/١٥٨).

أشهر الجهات ، أو هو للإشارة إلى قبلة اليهود وقبلة النصارى لإبطال تهويل الفريقين على المسلمين حين استقبلوا الكعبة ...][(١)].

يرى ابن عاشور أن الخطاب هنا موجه للمسلمين ، وذلك تلقين لهم حجة يحتجون بها على أهل الكتاب الذين لمزوهم بتغيير القبلة التي كانوا عليها ، وهذا أحد القولين اللذين ذكرهما المفسرون ، ومنهم ابن الجوزي حيث قال في تفسيره : [وفيمن خوطب بها قولان . أحدهما : أنهم المسلمون . والثاني : أهل الكتابين . فعلى القول الأول ؛ معناها : ليس البر كله في الصلاة ، ولكن البر ما في هذه الآية . وهذا المعنى مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، والضحاك ، وسفيان . وعلى القول الثاني ؛ معناها : ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب ، وصلاة النصارى إلى المشرق ، ولكن البر ما في هذه الآية ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، وعوف الأعرابي ، ومقاتل][(٢)].

أما القرطبي فيرى أن الخطاب لأهل الكتاب ، فقال :[وقال الربيع وقتادة أيضا : الخطاب لليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي ، فاليهود إلى المغرب قبل بيت المقدس ، والنصارى إلى المشرق مطلع الشمس ، وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليتها ، فقيل لهم : ليس البر ما أنتم فيه ،﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ... ﴾][(٣)].

والفرق بين القولين واضح جلي ، فابن عاشور يرى أن الآية جاءت خطابا للمسلمين ، مفادها تلقين الحجة لهم ضد أهل الكتاب الذين لمزوهم في مسألة القبلة الجديدة.

بينما يرى القرطبي خلاف ذلك ، ويرجح أن الخطاب متوجه لليهود والنصارى ، فاعتبر الآية رد عليهم . ولهذا توسع ابن عاشور قليلا ، واختصر القرطبي القول.

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٢٨/٢.

(٢) ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،"زاد المسير" ، ط ٣ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ)١٦٦/١.

(٣) القرطبي ، مرجع سابق ، ١٥٨/٢ .

المبحث الرابع : شبهة إثبات الإلهية لابن الإنسان والردّ عليها.

قال تعالى: ﴿ ... وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ... ﴾(١).

جاء ذكر اسم عيسى – عليه السلام – في القرآن في ستة عشر موضعا كلها كان منسوبا لأمه إلا في أربعة مواضع ، وفي هذا إشارة إلى أن البشر وما توالد منهم لا يرتقون لدرجة الألوهية مهما علوا ، ونسبة عيسى لأمه نسبة طبيعية لأنها والدته التي حملته في بطنها وأرضعته وربته ، فكيف يكون من هذا حاله إله !!؟ ولابن عاشور تقرير لهذا المبدأ ، وهو أن ابن الإنسان لا يكون إلها.

فقال الطاهر :[وروح القدس هو جبريل قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٢)، وفي الحديث : (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها)(٣)، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان : (اهجهم ومعك روح القدس)(٤).وإنما وصف عيسى بهذين مع أن سائر الرسل أُيدوا بالبينات وبروح القدس ، للردّ على اليهود الذين أنكروا رسالته ومعجزاته ، وللردّ على النصارى الذين غلوا فزعموا ألوهيته ، ولأجل هذا ذكر معه اسم أمه – مهما ذكر- للتنبيه على أن ابن الإنسان لا يكون إلها ، وعلى أن مريم أمة الله تعالى لا صاحبة ، لأن العرب لا

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٣ .

(٢) سورة النحل ، من الآية : ١٠٢ .

(٣) حلية الأولياء قال: (حدثنا إسحاق بن أحمد ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا أحمد بن أبي الحواري ثنا يحيى بن صالح الوحاطي ثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته)(١٠/٢٧).وجاء في مصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق وشعب الإيمان وغيرهم بلفظ (حتى تستكمل رزقها) والحديث صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤١٩/١.

(٤) رواه البخاري بلفظ : (اهجهم ، أو هاجهم – وجبريل معك) حديث رقم ٣٢١٣ ، وجاء عند مسلم : (قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله) حديث رقم ٦٥٥٠.

تذكر أسماء نسائها وإنما تكني ، فيقولون ربة البيت ، والأهل ، ونحو ذلك ، ولا يذكرون أسماء النساء إلا في الغزل ، أو أسماء الإماء][1].

وهنا ملحظ حسن لابن عاشور – وإن كان قد سبق إلى ذلك –حينما ألمح لفعل العرب في ذكرهم أسماء النساء ، وأنهم لا يصرحون بأسمائهن في مناداتهن ، وإنما يكنون ، وبما أن القرآن نزل بلغة العرب فقد راعى كثيرا من عاداتهم وأعرافهم التي تعارفوا عليها ، بل وأيد ما كان حسنا منها وأمر به ، ونهى عن السيئ منها وزجر عنه ، ولهذا تجد في القرآن ذكر اسم مريم عليها السلام .

وقد قال القرطبي : [لم يذكر الله عزوجل امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران ، فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ ، فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملأ ، ولا يبتذلون أسماءهن ، بل يكنون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال ونحو ذلك ، فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن و لم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها ، فلما قالت النصارى في مريم ما قالت ، وفي ابنها صرح الله باسمها ، و لم يكنّ عنها بالأمومة والعبودية التي هي صفة لها ، وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها][2].

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٩/٣.

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ٢٢/٦ .

المبحث الخامس : شبهة اعتقاد النصارى أن عيسى قد أميت ومع ذلك فهم يؤلهونه والرد عليها.

قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1].

الله عزوجل هو المتصف بصفات الكمال التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، ومن صفاته – سبحانه وتعالى – الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات ، والقيومية التي تعني قيامه بنفسه ، واستغناءه عن جميع مخلوقاته ، وقام بجميع الموجودات ، فأوجدها وأبقاها ، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها[2]، وهذه الصفات لا تكون إلا لإله خالق مستحق للعبادة ، ومن لا يتصف بهذه الصفات ، فليس أهلا أن يؤله أو يعبد ، ولهذا استنبط ابن عاشور من هذه الصفات ما يرد به على النصارى الذين ألهوا عيسى.

فقال : [ابتدئ الكلام بمسند إليه خبره فعليّ : لإفادة تقوية الخبر اهتماما به . وجيء بالاسم العلم : لتربية المهابة عند سماعه ، ثم أردف بجملة ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ جملة معترضة أو حالية ، ردا على المشركين ، وعلى النصارى خاصة . وأتبع بالوصفين ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ لنفي اللبس عن مسمى هذا الاسم ، والإيماء إلى وجه انفراده بالإلهية ، وأن غيره لا يستأهلها لأنه غير حيّ أو غير قيّوم ، فالأصنام لا حياة لها ، وعيسى في اعتقاد النصارى قد أميت ، فما هو الآن بقيوم ولا هو في حال حياته بقيوم على تدبير العالم ، وكيف وقد أوذي في الله ، وكذب ، واختفى من أعدائه][3].

يشير ابن عاشور إلى أن من اعتقادات النصارى في عيسى – عليه السلام – أنه قد أميت ، ومع ذلك فهم يعتقدون ألوهيته ، وفي هذا تناقض عجيب لا ينقضي منه العجب ، فكيف يكون إله من يموت!!؟.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢ .

(٢) بتصرف يسير من كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي ، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط ١ (مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م) ، ص ١٠٢.

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/١٤٧.

، وكيف يكون إله من لم يكن قائما بنفسه حال حياته !!؟ ، ومن لم يكن قائما بنفسه ، فمـــن بـــاب الأولى أن لا يقوم به أحد ، ومن هو كذلك فلا يستحق التأليه ولا العبادة.

المبحث السادس : بيان أن الله يصور الناس –ومنهم عيسى عليه السلام–في الأرحام كيف يشاء.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

تقدم في الآية السابقة أن من صفات الله جل جلاله الحياة والقيومية الكاملتان ، وهو سبحانه –كما في هذه الآية الكريمة–الخالق المصور ، الذي خلق خلقه وصورهم بكيفية اختارها لهم ، عن حكمة وعلم ، وجعل لكل خلق صورة تناسب ما كلفوا به وما سخروا له ، فقال سبحانه : ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢)، وقد أحسن الله صورة بني البشر وجعله في أحسن تقويم ، قال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٣)، وممن خلق وصور في رحم أمه ، عيسى عليه السلام – وإن كان أصل تخلقه على غير عادة – ولهذا استشف ابن عاشور من هذه الآية ردا على النصارى الذين يؤلهونه.

فقال رحمه الله معلقا عند هذه الآية الكريمة :[استئناف ثان يبين شيئا من معنى القيومية ، فهو كبدل البعض من الكل ، وخص من بين شؤون القيومية تصوير البشر لأنه من أعجب مظاهر القدرة ولأن فيه تعريضا بالرد على النصارى في اعتقادهم إلاهية عيسى من أجل أن الله صوره بكيفية غير معتادة فبين لهم أن الكيفيات العارضة للموجودات كلها من صنع الله وتصويره : سواء المعتاد ، وغير المعتاد . و[كيف] هنا ليس فيها معنى الاستفهام ، بل هي دالة على مجرد معنى الكيفية أي الحالة ، فهي هنا مستعملة في أصلها الموضوعة له في اللغة إذ لا ريب في أن [كيف] مشتملة على حروف مادة الكيفية والتكيف ، وهو الحالة والهيئة ، وإن كان الأكثر في الاستعمال أن تكون اسم استفهام...].

وقال : [...ودل تعريف الجزأين على قصر صفة التصوير عليه تعالى وهو قصر حقيقي لأنه كذلك في الواقع إذ هو مكون أسباب ذلك التصوير ، وهذا إيماء إلى كشف شبهة النصارى إذ توهموا أن تخلق

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦ .

(٢) سورة النور ، من الآية : ٤٥ .

(٣) سورة التين ، الآية : ٤ .

عيسى بدون ماء أب دليل على أنه غير بشر وأنه إله ، وجهلوا أن التصوير في الأرحـــام وإن اختلفـــت كيفياته لا يخرج عن كونه خلقا لما كان معدوما فكيف يكون ذلـــك المخلـــوق المـــصور في الـــرحم إلها]اهـــ(١).

بين رحمه الله أن [كيف] لا يقصد بها الاستفهام وإن كان هذا الأكثر في استعمالها ، وإنما جاءت هنـــا لبيان الكيفية ، وأن عيسى عليه السلام وإن اختلفت أصل خلقته ، فلا يخرج عن كونه من الخلق الـــذي كان عدما ، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أن المخلوق لا يكون إلها.

وللإمام القرطبي – أيضا – استدلال بهذه الآية ورد على النصارى ، وذلك لأن عيسى من الذين خلقهم الله وصورهم.

فقال : [أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات ، وأصل الرحم من الرحمة ، لأنها مما يتراحم به . واشتقاق الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله ، فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة . وهذه الآية تعظيم لله تعالى ، وفى ضمنها الرد على نصارى نجران ، وأن عيسى من المصورين ، وذلك مما لا ينكـــره عاقـــل ...]اهـــ(٢).

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٥١/٣-١٥٢.

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ٩/٤.

المبحث السابع : بيان معنى الكلمة التي خلق منها عيسى عليه السلام .

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾(1).

إن الله عزوجل إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، ولا راد لأمره وقضائه ، فهو سبحانه القادر على كل شيء ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وفي هذه الآية الكريمة يبين الله جل في علاه أنه خلق عيسى عليه السلام بكلمة منه وهي قوله : كن .

و لم يكن خلقه كبقية البشر الذين جاءوا عن طريق آبائهم ، ولهذا ضل النصارى وغلوا في عيسى ، وقد بين الإمام ابن عاشور المراد من قوله تعالى :﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ .

قال الطاهر :[والكلمة مراد بها كلمة التكوين وهي تعلق القدرة التنجيزي ، كما في حديث خلق الإنسان من قوله :"وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ" إلخ (2)، ووصف عيسى بكلمة مراد به كلمة خاصة مخالفة للمعتاد في تكوين الجنين ، أي بدون الأسباب المعتادة .
وقوله : [منه] من ، للابتداء المجازي ، أي بدون واسطة أسباب النسل المعتادة وقد دل على ذلك قوله : ﴿ ...إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾](3).

وقد ذكر القرطبي معنى زائدا عما جاء به ابن عاشور لـ[كلمة]، وذكر قولين رجح الأوّل منهما ، فقال : [وسُميَّ عيسى كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى التي هي[كُنْ] فكان من غير أب ... وقيل : سُميَّ كلمة لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله تعالى . وقال أبو عبيد : معنى ﴿ ... بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ...

(1) سورة آل عمران ، الآية : 45 .
(2) صحيح مسلم ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، 2036/4 حديث رقم 2643.
(3) ابن عاشور ، مرجع سابق ، 245/3-246.

﴾ بكتاب من الله . قال : والعرب تقول أنشدَني كلمة ، أي قصيدة ، كما روي أن الحويدرة [1] ذكر لحسان فقال : لعن الله كلمته ، يعني قصيدته . وقيل غير هذا من الأقوال . والقول الأول أشهر وعليه من العلماء الأكثر][2].

---

(١) الحويدرة تصغير الحادرة ، وهو لقب غلب عليه ، واسمه قطبة بن محصن بن جرول . ويعني حسان بن ثابت رضي الله عنه ، قصيدة الحويدرة التي مطلعها:

بَكَرتْ سُمَيّةُ بُكرةً فتمتَّعِي ... وغدتْ غُدُوَّ مُفَارقٍ لم يَرْبَعِ

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ٥٤/٤.

المبحث الثامن : بيان معنى الخلق الذي جاء به عيسى عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(١).

لقد أرسل الله الرسل إلى أقوامهم لدعوتهم إلى التوحيد وعدم الإشراك برب العالمين ، وقد أيدهم سبحانه وتعالى بآيات ومعجزات كي يعلموا صدق الأنبياء والرسل ، وكانت كل أمّة من الأمم قد اشتهرت وتفوقت بمجال من المجالات ، فكان بنو إسرائيل في زمن موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام ، مشتهرين بالسحر والشعوذة ، فأرسل الله لهم موسى وأيده بآيات تضاهي سحرهم ، فكان من آياته العصا ، والحية ، وغيرها .

وكان بنو إسرائيل في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ، مشتهرين ومتفوقين في مجال الطب وعلاج المرضى ، فأيد الله عيسى بمعجزات تضاهي معرفتهم بالطب وتفوقهم فيه ، فكان يخلق من الطين كهيئة الطير بأذن الله ، ويبرئ الأكمه وهو الذي ولد أعمى ، والأبرص وهو داء جلدي ، إضافة إلى ذلك فهو يحيي الموتى ، يناديهم فيخرجون من قبورهم أحياء ، ولذلك ضل النصارى في عيسى وألهوه وأنزلوه قدرا فوق قدره ، وأعطوه حقا ليس من حقه ، وقد حلّق بنا ابن عاشور في سماء هذه الآية الكريمة.

فقال رحمه الله: [ومعنى ﴿ جِئۡتُكُم ﴾ أُرسلت إليكم من جانب الله ، ونظيره قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾(٢).وقوله:﴿ بِـَٔايَةٖ ﴾ حال من ضمير ﴿ جِئۡتُكُم ﴾ لأن المقصود الإخبار بأنه رسول لا بأنه جاء بآية.شبّه أمر الله إيّاه بأن يبلغ رسالته بمجيء المرسل من قوم إلى آخرين ، ولذلك سُمي النبي رسولا].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الزخرف ، من الآية : ٦٢ .

ثم قال :[والخلق : حقيقته تقدير شيء بقدر ، ومنه خلْق الأديم ، تقديره بحسب ما يراد من قطعه قبل قطع القطعة منه . قال زهير :

ولأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْـ ... ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

يريد تقدير الأديم قبل قطعه ، والقطع هو الفري ، ويستعمل مجازا مشهورا أو مشتركا في الإنشاء والإبداع على غير مثال ولا احتذاء ، وفي الإنشاء على مثال يبدع ويقدر ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ... ﴾(١)، فهو إبداع الشيء وإبرازه للوجود ، والخلق هنا مستعمل في حقيقته أي : أقدِّر لكم من الطين كهيئة الطير ، وليس المراد به خلق الحيوان ، بدليل قوله : ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾].

وقال :[وزاد قوله :﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ لإظهار العبوديّة ، ونفي توهم المشاركة في خلق الكائنات].

ثم ختم تفسير هذه الآية ببيان أن هذه المعجزات هي تأييد من رب العالمين ولا تدل من قريب ولا من بعيد على أن عيسى مستحق للإلوهية ، فقال :[وقولهُ :﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ جعل هذه الأشياء كلها آيات تدعو إلى الإيمان به ، أي إن كنتم تريدون الإيمان ، بخلاف ما إذا كان دأبكم المكابرة . والخطاب موجه منه إلى بني إسرائيل ، فإنهم بادروا دعوته بالتكذيب والشتم . وتعرض القرآن لذكر هذه المعجزات تعريض بالنصارى الذين جعلوا منها دليلا على ألوهية عيسى ، بعلّة أن هذه الأعمال لا تدخل تحت مقدرة البشر ، فمن قدر عليها فهو الإله ، وهذا دليل سفسطائي(٢) أشار الله إلى كشفه بقوله :﴿ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وقوله :﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ مرتين . وقد روى أهل السير أن نصارى نجران استدلوا بهذه الأعمال لدى النبي صلى الله عليه وسلم]اهـ(٣).

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١١ .

(٢) أصل هذا اللفظ في اليونانية (سوفيسما) وهو مشتق من لفظ (سوفوس) و معناه الحكيم و الحاذق.و السفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة ، و عند المنطقيين هي القياس المركب من الوهميات. و قيل أيضا : أن السفسطة قياس ظاهره الحق و باطنه الباطل، و يقصد به خداع الآخرين، أو خداع النفس. المعجم الفلسفي ،٦٥٩/١.

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٢٥٠/٣-٢٥١.

وقد جاء عند القرطبيّ أن معنى الخلق في هذه الآية هو التصوير والتقدير فقـال :[أي أصـور وأقـدر لكم][1].

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ٤/ ٦٦ .

المبحث التاسع : شبهة اعتقاد النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام والرد عليها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).

لما كان تخلق عيسى على غير جري العادة من دون أب بل بكلمة من الله ، ضل النصارى فيه وقالوا هو ابن الله ، فرد الله عليهم هذه الشبهة بأن النصارى قد ضلوا بعيسى ، وألهوه ونسبوه لله ابنا من أجل ذلك ، ولو تفكّروا بخلق آدم عليه السلام لوجدوا أنه أولى من عيسى بذلك ، فإنما كان خلقه من تراب ، ولكن الله جل في علاه غنيّ عن خلقه وهم إليه فقراء محتاجون.

وقد أجاد ابن عاشور في الاستدلال بهذه الآية الكريمة والاحتجاج بها على رد شبهة من أعظم شبه النصارى.

فقال –رحمه الله– :[استئناف بيانيّ بين به ما نشأ من الأوهام عند النصارى عن وصف عيسى بأنه كلمة من الله ، فضلوا بتوهمهم أنه ليس خالص الناسوت ، وهذا شروع في إبطال عقيدة النصارى من تأليه عيسى ، ورد مطاعنهم في الإسلام وهو أقطع دليل بطريق الإلزام لأنهم قالوا بإلهية عيسى من أجل أنه خُلق بكلمة من الله وليس له أب ، فقالوا : هو ابن الله ، فأراهم الله أن آدم أولى بأن يدعى له ذلك ، فإذا لم يكن آدم إلها مع أنه خُلق بدون أبوين فعيسى أولى بالمخلوقية من آدم . ومحل التمثيل كون كليهما خُلق من دون أب ، ويزيد آدم بكونه من دون أمّ أيضا ، فلذلك احتيج إلى ذكر وجه الشبه بقوله :﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾الآية ، أي خلقه دون أب ولا أم بل بكلمة كن ، مع بيان كونه أقوى في المشبه به على ما هو الغالب. وإنما قال :﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي نسبته إلى الله لا يزيد على آدم شيئا في كونه خلقا غير معتاد لكم ، لأنهم جعلوا خلقه العجيب موجبا للمسيح نسبة خاصة عند الله وهي البنوة . وقال ابن عطية : "أراد بقوله : عند الله نفس الأمر والواقع"] اهـ(٢).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٦٣.

المبحث العاشر : بيان مباهلة النصارى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾(١).

في هذه الآية الكريمة يبين الله عزوجل مشروعية المباهلة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، بعد أن جاءه العلم الحق في عيسى عليه السلام وهو أنه عبد الله ورسوله وليس كما يدعي النصارى من الألوهية له والبنوة ، ولأنهم استمروا على المحاجة بالباطل.

قال ابن عاشور:[تفريع على قوله : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(٢) لما فيه من إيماء إلى أن وفد نجران ممترون في هذا الذي بين الله لهم في هذه الآيات ، أي فإن استمروا على محاجتهم إياك مكابرة في هذا الحق أو في شأن عيسى فادعهم إلى المباهلة والملاعنة ، ذلك أن تصميمهم على معتقدهم بعد هذا البيان مكابرة محضة بعد ما جاءك من العلم وبينت لهم ، فلم يبق أوضح مما حاججتهم به فعلمت أنهم إنما يحاجونك عن مكابرة ، وقلة يقين ، فادعهم إلى المباهلة بالملاعنة الموصوفة هنا].

وقال أيضا :[والابتهال مشتق من البهل وهو الدعاء باللعن ، ويطلق على الاجتهاد في الدعاء مطلقا لأن الداعي باللعن يجتهد في دعائه ، والمراد في الآية المعنى الأول ،ومعنى﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ فندع بإيقاع اللعنة على الكاذبين . وهذا الدعاء إلى المباهلة إلجاء لهم إلى أن يعترفوا بالحق أو يكفوا].

"ثم ختم بقوله:[وهذه دعوة إنصاف لا يدعو لها إلا واثق بأنه على الحق](٣).

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٠ .

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٦٥-٢٦٦.

وذكر القرطبي أن هذه الآية من أعلام النبوة فقال :[﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ أي جادلك وخاصمك يا محمد ﴿ فِيهِ ﴾ ، أي في عيسى ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بأنه عبد الله ورسوله .﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ ﴾ أي اقبلوا ... هذه الآية من أعلام نبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم ، لأنه دعاهم إلى المباهلة فأبوا منها ورضوا بالجزية بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب ، أنهم إن باهلوه اضطرم عليهم الوادي نارا ، فإن محمدا نبي مرسل ، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل في أمر عيسى ، فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم على أن يؤدوا في كل عام ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب فصالحهم رسول الله صلى اللّه عليه وسلم على ذلك بدلا من الإسلام][١].

---

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ٤/٧٢ .

المبحث الحادي عشر : بيان أنه لا إله إلا الله العزيز الحكيم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١).

لا إله إلا الله المتفرد بالجلال الكبير المتعال ، لا إله غيره ولا رب سواه ، هو الخالق البارئ المصور . قد جاء في هذه الآية أن القصص التي جاءت في القرآن الكريم هي القصص الحق ، ومنها ما جاء بيانا لتلبيس النصارى وردا على مزاعمهم التي ادعوا فيها ألوهية عيسى عليه السلام ، وكما لا يخفى فإن الحق الذي لا مرية فيه أن الله واحد لا شريك له في ملكه ، واحد في ألوهيته لا إله معه ، وهو العزيز الحكيم.

قال الطاهر :[جملة ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ وما عطف عليها بالواو اعتراض لبيان ما اقتضاه قوله : ﴿ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ لأنهم نفوا أن يكون عيسى عبد الله ، وزعموا أنه غلب فإثبات أنه عبد هو الحق . واسم الإشارة راجع إلى ما ذكر من نفي الإلهية عن عيسى ، والضمير في قوله ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ﴾ ضمير فصل ، ودخلت عليه لام الابتداء لزيادة التقوية التي أفادها ضمير الفصل لأن اللام وحدها مفيدة تقوية الخبر وضمير الفصل يفيد القصر ، أي هذا القصص لا ما تقصه كتب النصارى وعقائدهم].

وقال :[وقوله :﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ تأكيد لحقيقة هذا القصص . ودخلت [من] الزائدة بعد حرف نفي تنصيصا على قصد نفي الجنس لتدل الجملة على التوحيد ، ونفي الشريك بالصراحة ، ودلالة المطابقة ، وأن ليس المراد نفي الوحدة عن غير الله ، فيوهم أنه قد يكون إلاهان أو أكثر في شق آخر ، وإن كان هذا يؤول إلى نفي الشريك لكن بدلالة الالتزام .

وقوله:﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فيه ما في قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ فأفاد تقوية الخبر عن الله تعالى بالعزة والحكم ، والمقصود إبطال إلهية المسيح على حسب اعتقاد المخاطبين من النصارى ،

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٢ .

فإنهم زعموا أنه قتله اليهود وذلك ذِلة وعجز لا يلتئمان مع الإلهية فكيف يكون إله وهو غير عزيز وهو محكوم عليه ، وهو أيضا إبطال لإلهيته على اعتقادنا لأنه كان محتاجا لإنقاذه من أيدي الظالمين](١).

أكدَ رحمه الله أن النصارى قد نقضوا أنفسهم بأنفسهم وذلك عندما نفوا أن عيسى عليه السلام عبدٌ لله وألهوه ثم هم بعد ذلك يزعمون أنه غلب وقهر وذلك لاعتقادهم بأن اليهود قتلوه وصلبوه ، فكيف يكون إله من هذه حاله من الضعف والذلة !!؟

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٦٦-٢٦٧.

المبحث الثاني عشر : بيان رجوع النصارى إلى المجادلة بعد رفضهم المباهلة .

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

قال ابن عاشور :[رجوع إلى المجادلة بعد انقطاعها بالدعاء إلى المباهلة ، بعث عليه الحرص على إيمانهم ، وإشارة إلى شيء من زيغ أهل الكتابين عن حقيقة إسلام الوجه لله كما تقدم بيانه ، وقد جيء في هـذه المجادلة بحجة لا يجدون عنها موئلا ، وهو دعوتهم إلى تخصيص الله بالعبادة ونبذ عقيدة إشراك غـيره في الإلهية ، فجملة ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بمترلة التأكيد لجملة ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ لأن مدلول الأولى احتجاج عليهم بضعف ثقتهم بأحقية اعتقادهم ، ومدلول هذه احتجاج عليهم بـصحة عقيـدة الإسلام ، ولذلك لم تعطف هذه الجملة ، والمراد بأهل الكتاب هنا النصارى ، لأنهم هم الذين اتخـذوا المخلوق ربا وعبدوه مع الله](٢).

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٦٨.

المبحث الثالث عشر : بيان أن الإسلام هو ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(1).

نداء يتبعه سؤال استنكاري لأهل الكتاب الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وليس عندهم مستند يستندون إليه في محاجتهم تلك ، فاليهود والنصارى أنزلت كتبهم بعد إبراهيم ، فأنى لهم العلم الكافي والدال على قولهم بأن الإسلام زاد عما جاء به إبراهيم ، ولابن عاشور رحمه الله إيراد جميل فيه دحض لهذه الشبهة.

فقال رحمه الله:[ومناسبة الانتقال من الكلام السابق إلى هذا الكلام نشأت من قوله﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ لأنه قد شاع فيما نزل من القرآن في مكة ، وبعدها أن الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يرجع إلى الحنيفية دين إبراهيم .... وقد اشتهر هذا وأعلن بين المشركين في مكة ، وبين اليهود في المدينة ، وبين النصارى في وفد نجران ، وقد علم أن المشركين بمكة كانوا يدعون أنهم ورثة شريعة إبراهيم وسدنة بيته ، وكان أهل الكتاب قد ادعوا أنهم على دين إبراهيم ، ولم يتبين لي أكان ذلك منهم ادعاء قديما أم كانوا قد تفطنوا إليه من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظوا لتقليده في ذلك ، أم كانوا قالوا ذلك على وجه الإفحام للرسول حين حاجهم بأن دينه هو الحق ، وأن الدين عند الله الإسلام ، فألجئوه إلى أحد أمرين : إما أن تكون الزيادة على دين إبراهيم غير مخرجة عن اتباعه ، فهو مشترك الإلزام في دين اليهودية والنصرانية ، وإما أن تكون مخرجة عن دين إبراهيم فلا يكون الإسلام تابعا لدين إبراهيم ، وأحسب أن ادعاءهم أنهم على ملة إبراهيم إنما انتحلوه لبث كل من الفريقين الدعوة إلى دينه بين العرب ، ولا سيما النصرانية ، فإن دعاتها كانوا يحاولون انتشارها بين العرب فلا يجدون شيئا يروج عندهم سوى أن يقولوا : إنها ملة إبراهيم ، ومن أجل ذلك اتُبعت في بعض قبائل العرب].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٥ .

وقال:[وقولهُ:﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ يكون على حسب الرواية الأولى منعا لقولهم : فقد زدت فيه ما ليس منه . المقصود منه إبطال أن يكون الإسلام هو دين إبراهيم . وتفصيل هذا المنع : إنكم لا قبل لكم بمعرفة دين إبراهيم ، فمن أين لكم أن الإسلام زاد فيما جاء به على دين إبراهيم ، فإنكم لا مستند لكم في علمكم بأمور الدين إلا التوراة والإنجيل ، وهما قد نزلا من بعد إبراهيم ، فمن أين يعلم ما كانت شريعة إبراهيم حتى يعلم المزيد عليها ، وذكر التوراة على هذا لأنها أصل الإنجيل ، ويكون على حسب الرواية الثانية نفيا لدعوى كل فريق منهما أنه على دين إبراهيم ، بأن دين اليهود هو التوراة ، ودين النصارى هو الإنجيل ، وكلاهما نزل بعد إبراهيم ، فكيف يكون شريعة له]اهـ (١).

وقد بين الإمام القرطبي –رحمه الله– أن الله تعالى أكذب اليهود والنصارى بادعائهم أنهم على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ونقل عن الزجاج قوله أن هذه الآية أبين حجة عليهم ، فقال رحمه الله :[وهذه الآية نزلت بسبب دعوى كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه ، فأكذبهم الله تعالى بأن اليهودية والنصرانية إنما كانتا من بعده ، فذلك قوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ قال الزجاج :[هذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى ، إذ التوراة والإنجيل أنزلا من بعده وليس فيهما اسم لواحد من الأديان ، واسم الإسلام في كل كتاب] .ويقال : كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة ، وبين موسى وعيسى أيضا ألف سنة .﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ دحوض حجتكم وبطلان قولكم . والله أعلم]اهـ(٢).

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٧٠-٢٧٣.

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ٤/٧٥.

المبحث الرابع عشر : شبهة أن الإسلام زائد عن ملة إبراهيم والرد عليها.

قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(١).

قال ابن عاشور :[وقوله :﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ ﴾ يبطل قولهم : إنّ الإسلام زاد على دين إبراهيم ، ولا يدل على أنهم على دين إبراهيم لأن التوراة والإنجيل لم يرد فيهما التصريح بذلك ، وهذا هو الفارق بين انتساب الإسلام إلى إبراهيم وانتساب اليهودية والنصرانية إليه ، فلا يقولون وكيف يدعي أن الإسلام دين إبراهيم مع أن القرآن أُنزل من بعد إبراهيم كما أُنزلت التوراة والإنجيل من بعده .وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ﴾ يدل على أن اللهَ أنبأ في القرآن بأنه أرسل محمدا بالإسلام دين إبراهيم وهو أعلم منكم بذلك ، ولم يسبق أن امتن عليكم بمثل ذلك في التوراة والإنجيل فأنتم لا تعلمون ذلك ، فلَما جاء الإسلام وأنبأ بذلك أردتم أن تنتحلوا هذه المزية ، واستيقظتم لذلك حسدا على هذه النعمة ، فنهضت الحجة عليهم ، ولم يبق لهم معذرة في أن يقولوا : إن مجيء التوراة والإنجيل من بعد إبراهيم مشترك الإلزام لنا ولكم ، فإن القرآن أُنزل بعد إبراهيم ، ولولا انتظام الدليل على الوجه الذي ذكرنا لكان مشترك الإلزام .والاستفهام في قوله : ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ مقصود منه التنبيه على الغلط. وقد أعرض في هذا الاحتجاج عليهم عن إبطال المنافاة بين الزيادة الواقعة في الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم على الدين الذي جاء به إبراهيم ، وبين وصف الإسلام بأنه ملة إبراهيم ، لأنهم لم يكن لهم من صحة النظر ما يفرقون به بين زيادة الفروع ، واتحاد الأصول]اهـ(٢).

أضاف القرطبي : أن اللهَ تعالى قد نعت لأهل الكتاب محمدا صلى الله عليه وسلم في كتبهم ، فهم يحاجونه في الباطل ، فقال رحمه الله :[قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ ﴾ يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا يعلمونه فيما يجدون من نعته في كتابهم فحاجوا فيه بالباطل . ﴿ فَلِمَ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٦ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٧٢-٢٧٣.

تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾ يعني دعواهم في إبراهيم أنه كان يهوديا أو نصرانيا ... في الآية دليـــل على المنع من الجدال لمن لا علم له ، والحظر على من لا تحقيق عنده ...]اهـــ[1].

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ٧٥/٤.

المبحث الخامس عشر : شبهة اعتقاد النصارى أن إبراهيم كان نصرانيا والرد عليها.

قال تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(1).

ادعى اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان تابعا لملتهم ، فبين الحق جل جلاله أن إبراهيم لم يكن متبعا لأي من الديانتين ، وإنما كان حنيفا مسلما ، ولهذا كانت هذه الآية ردا على هذه الكذبة التي جاء بها هؤلاء ، وقد تكلم العلامة ابن عاشور عند هذه الآية بما فيه دحضا لهذه الشبهة .

قال الطاهر :[نتيجة للاستدلال إذ قد تحصحص من الحجة الماضية أن اليهودية والنصرانية غير الحنيفية ، وأن موسى وعيسى –عليهما السلام– لم يخبرا بأنهما على الحنيفية ، فأنتج أن إبراهيم لم يكن على حال اليهودية أو النصرانية إذ لم يؤثر ذلك عن موسى ولا عيسى –عليهما السلام– فهذا سنده خلو كتبهم عن ادعاء ذلك ، وكيف تكون اليهودية أو النصرانية من الحنيفية مع خلوها عن فريضة الحج ، وقد جاء الإسلام بذكر فرضه لمن تمكن منه ، ومما يؤيد هذا ما ذكره ابن عطية في تفسير قوله تعالى في هذه السورة : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(2)عن عكرمة قال : لما نزلت الآية قال أهل الملل : قد أسلمنا قبلك ، ونحن المسلمون ، فقال الله له : فحجهم يا محمد ، وأنزل الله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾(3) الآية ، فحج المسلمون وقعد الكفار .(4) ثم تمم الله ذلك بقوله :﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فأبطلت دعاوى الفرق الثلاث].

ثم قال رحمه الله :[وقوله : ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أفاد الاستدراك بعد نفي الضد حصرا لحال إبراهيم فيما يوافق أصول الإسلام ، ولذلك بين ﴿ حَنِيفًا ﴾ بقوله: ﴿ مُّسْلِمًا ﴾

(1) سورة آل عمران ، الآية : 67 .

(2) سورة آل عمران ، من الآية : 84 .

(3) سورة آل عمران ، من الآية : 97 .

(4) ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط 1 (دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ ـــ 1993م) 1/485.

لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام ، فأعلمهم أن الإسلام هو الحنيفية ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فنفى عن إبراهيم موافقة اليهودية وموافقة النصرانية ، وموافقة المشركين ، وأنه كان مسلما ، فثبتت موافقته الإسلام وقد تقدم في مواضع أن إبراهيم سأل أن يكون مسلما ، وأن الله أمره أن يكون مسلما ، وأنه كان حنيفا ، وأن الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي كان جاء به إبراهيم ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] وكل ذلك لا يبقي شكا في أن الإسلام هو إسلام إبراهيم][2].

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٥.

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٧٤-٢٧٥.

المبحث السادس عشر : بيان من أولى الناس بإبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

بعد أن بين الله جل في علاه أن إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، أوضح – سبحانه – من أولى الناس به ، وهم الذين اتبعوه في توحيده لله وعلى رأسهم إمام الحنفاء وسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال ابن عاشور:[استئناف ناشئ عن نفي اليهودية والنصرانية عن إبراهيم ، فليس اليهود ولا النصارى ولا المشركون بأولى الناس به ، وهذا يدل على أنهم كانوا يقولون : نحن أولى بدينكم]اهـ(٢).

ويرى القرطبي أنها نزلت في اليهود ، حيث قال :[وقال ابن عباس : قال رؤساء اليهود : والله يا محمد لقد علمت أنا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك ، فإنه كان يهوديا وما بك إلا الحسد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية]اهـ(٣).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٨ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٢٧٦/٣ .

(٣) القرطبي ، مرجع سابق ، ٧٦/٤.

المبحث السابع عشر : شبهة ادعاء النصارى بأن عيسى –عليه السلام– أمرهم بعبادته والرد عليها.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾(1).

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الرسل الذين أرسلهم لا يدعون الناس لعبادهم ، ولكن يدعوهم كي يكونوا عبادا لله وحده لا شريك له ، وفي هذا تكذيب للنصارى ومن نحا نحوهم وادعى بادعائهم بأن عيسى أمرهم بأن يتخذوه إلها.

قال ابن عاشور:[اعتراض واستطراد ، فإنه لما ذكر ليّ اليهود ألسنتهم بالتوراة ، وهو ضرب من التحريف ، استطرد بذكر التحريف الذي عند النصارى لمناسبة التشابه في التحريف إذ تقول النصارى على المسيح أنه أمرهم بعبادته . فالمراد بالبشر عيسى عليه السلام ، والمقصود تتريه عيسى عن أن يكون قال ذلك ، ردا على النصارى ، فيكون رجوعا إلى الغرض الذي في قوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا ... ﴾ إلى قوله ... ﴿ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(2).

وقال رحمه الله :[وقوله :﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قيد قصد منه تشنيع القول بأن يكونوا عبادا للقائل بأن ذلك يقتضي أهم انسلخوا عن العبودية لله تعالى إلى عبودية البشر ، لأن حقيقة العبودية لا تقبل التجزئة لمعبودين ، فإن النصارى لما جعلوا عيسى ربا لهم ، وجعلوه ابنا لله ، قد لزمهم أهم انخلعوا عن عبودية الله فلا جدوى لقولهم : نحن [عبد] الله(3) وعبيد عيسى ، فلذلك جعلت مقالتهم مقتضية أن عيسى أمرهم بأن يكونوا عبادا له دون الله ، والمعنى أن الآمر بأن يكون الناس عبادا له هو آمر بانصرافهم عن عبادة الله . ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ أي ولكن يقول كونوا ربانيين ، أي كونوا منسوبين للرب ، وهو

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(2) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٢٩٣/٣.

(3) كذا في الكتاب ، ولعلّ الصحيح [نحن عبيد الله].

الله تعالى ، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه . ومعنى ذلـــك أن يكونوا مخلصين لله دون غيره][1].

كما جاء قول القرطبي موافقا لما جاء به ابن عاشور حيث قال رحمه الله :[يعني ما ينبغي ، والبشر يقـــع للواحد والجمع لأنه بمنزلة المصدر ، والمراد به هنا عيسى في قول الضحاك والسدي ... وهذه الآية قيـــل إنها نزلت في نصارى نجران ، وكـــذلك روي أن الـــسورة كلـــها إلى قولـــه : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ... ﴾[2]كان سبب نزولها نصارى نجران ولكن مزج معهم اليهود لأنهم فعلوا مـــن الجحـــد والعنـــاد فعلهم][3].

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣/٢٩٤-٢٩٥.
(٢) سورة آل عمران ، من الآية : ١٢١ .
(٣) القرطبي ، مرجع سابق ، ٤/٨٤ .

المبحث الثامن عشر : بيان غلو النصارى في عيسى -عليه السلام- ونهي الله لهم .

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾(١).

قال ابن عاشور : [استئناف ابتدائيّ بخطاب موجه إلى النصارى خاصة ، وخوطبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضا بأنهم خالفوا كتابهم ، وقرينة أنهم المراد هي قوله :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله :﴿ ... أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ... ﴾ فإنه بيان للمراد من إجمال قوله : ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ وابتدأت موعظتهم بالنهي عن الغلو لأن النصارى غلوا في تعظيم عيسى فادعوا له بنوة الله ، وجعلوه ثالث الآلهة ..... والغلو في الدين أن يظهر المتدين ما يفوت الحد الذي حدد له الدين ، ونهاهم عن الغلو لأنه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصادقين ، وغلو أهل الكتاب تجاوزهم الحد الذي طلبه دينهم منهم .... والنصارى طولبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهيّته أو كونه ابن الله ، مع الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ... وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ جملة مبينة للحد الذي كان الغلو عنده فإنه مجمل ، ومبينة للمراد من قول الحق ، ولكونها تنزل من التي قبلها منزلة البيان فصلت عنها ، وقد أفادت الجملة قصر المسيح على صفات ثلاث : صفة الرسالة ، وصفة كونه كلمة الله ألقيت إلى مريم ، وصفة كونه روحا من عند الله ، فالقصر قصر موصوف على صفة ، والقصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه غلوهم في هذه الصفات غلوا أخرجها عن كنهها فإن هذه الصفات ثابتة لعيسى ، وهم مثبتون لها فلا ينكر عليهم وصف عيسى بها ، لكنهم تجاوزوا الحد المحدود لها فجعلوا الرسالة البنوّة ، وجعلوا الكلمة اتحاد حقيقة الإلهية بعيسى في بطن مريم فجعلوا عيسى ابنا لله ومريم صاحبة لله- سبحانه- ، وجعلوا معنى الروح على ما به تكونت حقيقة

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

المسيح في بطن مريم من نفس الإلهية ... ومعنى ﴿ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أوصلها إلى مـــريم ، وروعـــي في الضمير تأنيث لفظ الكلمة ، وإلا فإن المراد منها عيسى ، أو أراد كلمة أمر التكوين ، ووصف عيـــسى بأنه روح الله وصف وقع في الأناجيل ، وقد أقره الله هنا [١]، فهو مما نزل حقا ، ومعنى كـــون عيـــسى روحا من الله ، أن روحه من الأرواح التي هي عناصر الحياة ، لكنها نسبت إلى الله لأنهـــا وصـــلت إلى مريم بدون تكوّن في نطفة فبهذا امتاز عن بقية الأرواح ، ووصف بأنه مبتدأ من جانب الله ... والعرب تسمي النفس روحا والنفخ روحا ، قال ذو الرمة يذكر لرفيقه أن يوقد نارا بحطب :

فَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْهَا إِلَيْكَ فَأَحْيِهَا ... بِرُوحِكَ وَاقْتُتْهُ لَهَا قِيتَةً قَدْرًا

(أي بنفخك) ."[٢].

ثم شرع رحمه الله في بيان حكمة ذكر الوصفين السابقين لعيسى عليه السلام وهما كلمة الله وروح منه ، فقال :[فإن قلت : ما حكمة وقوع هذين الوصفين هنا على ما فيهما من شبهة ضلت بها النصارى؟ ، وهلا وصف المسيح في جملة القصر بمثل ما وصف به محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعـــالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ... ﴾[٣] فكان أصرح في بيان العبودية ، وأنفى للضلال !!؟.

قلت : الحكمة في ذلك أن هذين الوصفين وقعا في كلام الإنجيل ، أو في كلام الحواريين وصفا لعيسى-عليه السلام- ، وكانا مفهومين في لغة المخاطبين يومئذ ، فلما تغيرت أساليب اللغات وساء الفهـــم في إدراك الحقيقة والمجاز تسرب الضلال إلى النصارى في سوء وضعهما فأريد التنبيه على ذلـــك الخطـــأ في التأويل ، أي أن قصارى ما وقع لديكم من كلام الأناجيل هو وصف المسيح بكلمة الله وبـــروح الله ، وليس في شيء من ذلك ما يؤدي إلى اعتقاد أنه ابن الله وأنه إله ، وتصدير جملة القصر بأنه رســـول الله ينادي على وصف العبودية إذ لا يرسل الإله إلها مثله ، ففيه كفاية من التنبيـــه علـــى معـــنى الكلمـــة والروح][٤].

(١) قلت : والصحيحُ أنَّ الله لم يقره هنا بل قال تعالى "وروحٌ منه" وفرقٌ كبيرٌ بين "روح الله" و "روح من الله" فليُتأمَّل .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/٥٠-٥٣ .

(٣) سورة الكهف ، من الآية : ١١٠ .

(٤) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/٥٣.

المبحث التاسع عشر : بيان أن أناجيل النصارى تخبرهم أن عيسى عبد الله .

قال تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[1].

يخبر الله جل في علاه أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لن يستكبر ويمتنع أن يكون عبدا من عباد الله ، ولا الملائكة المقربون يستكبرون ويمتنعون من ذلك ، لأنه وإياهم يعرفون قدرة الله وعظمته وأحقيته بالعبادة ، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، والرسل أعرف الناس بالله فكيف يتصور منهم الاستكبار والامتناع عن عبادته سبحانه وتعالى !!؟.

قال الطاهر : [استئناف واقع موقع تحقيق جملة : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] أو موقع الاستدلال على ما تضمنته جملة : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ والاستنكاف : التكبر والامتناع بأنفة ، فهو أشد من الاستكبار ، ونفي استنكاف المسيح : إما إخبار عن اعتراف عيسى بأنه عبد الله ، وإما احتجاج على النصارى بما يوجد في أناجيلهم .قال الله تعالى حكاية عنه ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[3].. إلخ.

وفي نصوص الإنجيل كثير مما يدل على أن المسيح عبد الله وأن الله إلهه وربه ، كما في مجادلته مع إبليس ، فقد قال له المسيح : [للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد].

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٣٠ .

وعدل عن طريق الإضافة في قوله :﴿ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ فأظهر الحرف الذي تقدر الإضافة عليه لأن التـــنكير هنا أظهر في العبودية ، أي عبدا من جملة العبيد ، ولو قال : عبد الله لأوهمت الإضافة أنه العبد الخصيص ، أو أن ذلك علم له][1].

وقال القرطبي :[أي لن يمتنع المسيح ولن يتتره من العبودية ولن ينقطع عنها ولن يعيبها][2].

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٥٩/٦.

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ٢٧/٦.

المبحث العشرون : بيان ذكر ميثاق النصارى الذي أخذه الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[1].

أخذ الله الميثاق من الذين قالوا إنا نصارى ، وذلك بأن يطيعوا الله ويؤدوا فرائضه ويتبعوا الرسل إذ هو مكتوب عندهم في الإنجيل ، لكنهم نسوا حظا مما ذكروا به وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أي لم يعملوا بما أمروا به وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سببا للكفر بمحمد صلى اللّه عليه وسلم.

قال ابن عاشور : [ذكر بعد ميثاق اليهود ميثاق النصارى ... وعبر عن النصارى بـــ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ هنا ... تسجيل عليهم بأن اسم دينهم مشير إلى أصل من أصوله ، وهو أن يكون أتباعه أنصارا لمـــا يـــأمر بـــه الله ، ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[2].ومن جملة ذلك أن ينصروا القائم بالدين بعد عيسى من أتباعه ، مثل [بولس] و [بطرس] وغيرهما من دعاة الهدى وأعظم من ذلك كله أن ينصروا النبي المبشر به في التوراة والإنجيل الذي يجيء بعد عيسى قبل منتهى العالم ويخلص الناس من الضلال ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ ﴾[3] الآية. فجميع أتباع الرسل قد لزمهم ما التزمه أنبياؤهم وبخاصة النصارى ، فهذا اللقب وهو النصارى ، حجة عليهم قائمة بهم متلبسة بجماعتهم كلها...وقد أخذ الله على النصارى ميثاقا على لسان المسيح – عليه السلام– وبعضه مذكور في مواضع من الأناجيل][4].

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٨١ .

(٤) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/١٤٥-١٤٧ .

قلت : والصحيح والذي عليه أهل التحقيق أن [بولس] ليس من دعاة الهدى ، بل هو من قام بتحريف دين المسيح –عليه السلام – وقد جاء في مجلة البحوث الإسلامية (١) ما نصه: [من هو بولس ؟ : اسمه شاؤول وهو يهودي الأصل ، كان من ألد أعداء النصارى وأشدهم نقمة عليهم ، ولما رأى تصلب أتباع المسيح على دينهم كاد بهم شر مكيدة ، فتظاهر بالمسيحية ، وقام بتحريف عقائدها وأصولها ، وخدعهم باختراع حكاية عن تنصره ، ذكر فيها أن عيسى – عليه السلام – هو الذي أمره بنشر هذه التعاليم – التي افتراها عليه ، وعلى الله سبحانه وتعالى – وبذلك لعب دورا خطيرا في تحريف المسيحية ، وأهم تلك القصائد التي وضعها بولس وتقرها الكنيسة إلى الآن هي : تأليه المسيح والروح القدس ، والقول بالتثليث . صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة آدم وفداء للبشر . قيامة عيسى في الأموات ، وصعوده إلى السماء ، وجلوسه عن يمين الله . أن عيسى هو الذي يحاسب البشر يوم القيامة ، وليس الله . أن المسيحية دين للناس جميعا ، وليس قصرا على بني إسرائيل فقط . [انظر : هامش تحفة الأريب (ص٦٠-٦١) الهامش رقم (٢٥)](٢).

ولعل ابن عاشور لم يطلع على المؤلفات التي ذكر فيها حقيقة [بولس] وهذا الظن هو الأقرب خصوصاً إذا علمنا أن أكثر تلك المؤلفات قد طبعت حديثا أو بعد تاريخ وفاة ابن عاشور ، ولذلك اكتفى – رحمه الله وعفا عنه – بما في كتب النصارى من تبجيل وثناء على [بولس] فظن أنه من دعاة الهدى في دين المسيح – عليه السلام – أو أنه –رحمه الله- ذكر ذلك من باب التنزل معهم.

ثم –بعد ذلك–قال ابن عاشور عند ذكر العداوة والبغضاء اللتين أغرى الله بينهم :[وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم كان عقابا في الدنيا لقوله : ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ جزاء على نكثهم العهد . وأسباب العداوة والبغضاء شدة الاختلاف ، فتكون من اختلافهم في نحل الدين بين يعاقبة ، وملكانية ، ونسطورية ، وهراتقة [بروتستانت] وتكون من التحاسد على السلطان ومتاع الدنيا ، كما كان بين ملوك النصرانية وبينهم وبين رؤساء ديانتهم . فإن قيل : كيف أغريت بينهم العداوة وهم لم يزالوا إلبا على المسلمين !؟.

---

(١) مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية ، ٢٣/ ٣٨٤.

فجوابه : أن العداوة ثابتة بينهم في الدين بانقسامهم فرقا ... وذلك الانقسام يجر إليهم العداوة وخـــذل بعضهم بعضا . ثم إن دولهم كانت منقسمة ومتحاربة ، ولم تزل كذلك ، وإنمـــا تـــألَّبوا في الحـــروب الصليبية على المسلمين ثم لم يلبثوا أن تخاذلوا وتحاربوا ، ولا يزال الأمر بينهم كـــذلك إلى الآن . وكـــم ضاعت مساعي الساعين في جمعهم على كلمة واحدة وتأليف اتحاد بينهم ، وكـــان اخـــتلافهم لطفـــا بالمسلمين في مختلف عصور التاريخ الإسلامي ، على أن اتفاقهم على أمة أخرى لا ينافي تمكن العـــداوة فيما بينهم ، وكفى بذلك عقابا لهم على نسيانهم ما ذكروا به](١).

قلت : ولقد اتحد جملة منهم في اتحاد أسموه " الاتحاد الأوروبي" يجمع الدول الأوروبية ، ولكنهم مع ذلك يختلفون تحت مظلته كثيرا ، فسبحان من أغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٤٩/٦.

المبحث الواحد والعشرون : بيان أعظم ضلال النصارى .

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

قال ابن عاشور:[هذا من ضروب عدم الوفاء بميثاق الله تعالى . كان أعظم ضلال النصارى ادعاؤهم إلهية عيسى– عليه السلام–، فإبطال زعمهم ذلك هو أهم أحوال إخراجهم من الظلمات إلى النور وهديهم إلى الصراط المستقيم ، فاستأنف هذه الجملة ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ استئناف البيان . وتعين ذكر الموصول هنا لأن المقصود بيان ما في هذه المقالة من الكفر ، لا بيان ما عليه النصارى من الضلال ، لأن ضلالهم حاصل لا محالة إذا كانت هذه المقالة كفرا.

وحكي قولهم بما تؤديه في اللغة العربية جملة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وهو تركيب دقيق المعنى لم يعطه المفسرون حقه من بيان انتزاع المعنى المراد به من تركيبه ، من الدلالة على اتحاد مسمى هذين الاسمين بطريق تعريف كل من المسند إليه والمسند بالعلمية بقرينة السياق الدالة على أن الكلام ليس مقصودا للإخبار بأحداث لذوات ، المسمى في الاصطلاح : حمل اشتقاق بل هو حمل مواطأة ، وهو ما يسمى في المنطق : حمل (هو هو) ، وذلك حين يكون كلّ من المسند إليه والمسند معلوما للمخاطب ويراد بيان أنهما شيء واحد ، كقولك حين تقول : قال زياد ، فيقول سامعك : من هو زياد ، فتقول : زياد هو النابغة ... ويفيد قولهم هذا أنهم جعلوا حقيقة الإله الحق المعلوم متحدة بحقيقة عيسى– عليه السلام– بمنزلة اتحاد الاسمين للمسمى الواحد ، ومرادهم امتزاج الحقيقة الإلهية في ذات عيسى .
ولما كانت الحقيقة الإلهية معنونة عند جميع المتدينين باسم الجلالة جعل القائلون اسم الجلالة المسند إليه ، واسم عيسى المسند ليدلوا على أن الله اتحد بذات المسيح ... وبين الله لرسوله الحجة عليهم بقوله : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ الآية](١).

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٧ .

المبحث الثاني والعشرون : شبهة ادّعاء النَّصارى بأنّهم أبناء الله والردّ عليها.

قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١).

ادعى أهل الكتاب من اليهود والنصارى زورا وبهتانا على الله أنهم أبناؤه وأحباؤه وأنهم أفضل من بقية الناس ، فرد الله عليهم كذبهم وبهتانهم بقوله :﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ فلو أنكم فيما ادعيتم صادقون لما عذبكم الله بما اقترفتم من الذنوب ولما كنتم كبقية الناس الذين يؤاخذهم الله بذنوبهم وأعمالهم !! فالله جل في علاه هو المالك لكل شيء ، وكل شيء إليه صائر ، فسبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

قال الطاهر : [مقال آخر مشترك بينهم وبين اليهود يدل على غباوتهم في الكفر إذ يقولون ما لا يليق بعظمة الله تعالى ، ثم هو مناقض لمقالاتهم الأخرى ... وقد وقع في التوراة والإنجيل التعبير بأبناء الله ، ففي سفر التثنية أول الفصل الرابع عشر قول موسى «أنتم أولاد للرب أبيكم» . وأما الأناجيل فهي مملوءة بوصف الله تعالى بأبي المسيح ، وبأبي المؤمنين به ، وتسمية المؤمنين أبناء الله في (متى) في الإصحاح الثالث «وصوت من السماء قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (٢)... وكلها جائية على ضرب من التشبيه فتوهمها دهماؤهم حقيقة فاعتقدوا ظاهرها.وعطف "وأحباؤه" على أبناء الله أنهم قصدوا أنهم أبناء محبوبون إذ قد يكون الابن مغضوبا عليه](٣).

---

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/١٥١-١٥٣.

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٨ .

(٢) قلت : ولا يخفى ما حصل في كتب أهل الكتاب من التحريف والزيادة والنقص ، فلعل هذه المصطلحات من إضافاتهم وكذبهم وتزويرهم والله أعلم.

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/١٥٥-١٥٦ .

ثم ذكر –رحمه الله– أن الله علَّم النبي صلى الله عليه وسلم حجة يبطل بها قولهم المنكر هذا . فقال :[وقد علَّم الله رسوله أن يبطل قولهم بنقضين : أولهما من الشريعة ، وهو قوله :﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ﴾ يعني أنهم قائلون بأن نصيبا من العذاب ينالهم بذنوبهم ، فلو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذبهم بـذنوبهم ، وشأن المحب أن لا يعذب حبيبه ، وشأن الأب أن لا يعذب أبناءه ... وليس المقصود من هذا أن يـرد عليهم بوقوع العذاب عليهم في نفس الأمر ، من تقدير العذاب لهم في الآخرة على كفرهم ، لأن ذلـك لا يعترفون به فلا يصلح للرد به ، إذ يصير الرد مصادرة ، بل المقصود الرد علـيهم بحـصول عـذاب يعتقدون حصوله في عقائد دينهم ، سواء كان عذاب الآخرة أم عذاب الدنيا . فأما اليهـود فكتبـهم طافحة بذكر العذاب في الدنيا والآخرة ، كما في قوله تعـالى : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْـدُودَةً ﴾(١). وأما النصارى فلم أر في الأناجيل ذكرا لعذاب الآخرة إلا أنهم قائلون في عقائدهم بأن بني آدم كلهم استحقوا العذاب الأخروي بخطيئة أبيهم آدم ، فجاء عيسى ابن مـريم مخلـصا وشـافعا وعرض نفسه للصلب ليكفر عن البشر خطيئتهم الموروثة ، وهذا يلزمهم الاعتراف بأن العـذاب كـان مكتوبا على الجميع لولا كفارة عيسى فحصل الرد عليهم باعتقادهم به بله اعتقادنا . ثم أخذت النتيجة من البرهان بقوله﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ أي ينالكم ما ينال سائر البشر . وفي هذا تعريض أيضا بأن المسيح بشر ، لأنه ناله ما ينال البشر من الأعراض والخوف ، وزعموا أنه ناله الصلب والقتل . وجملـة قوله:﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ كالاحتراس ، لأنه لما رتب على نوال العذاب إياهم أنهـم بشر دفع توهم النصارى أن البشرية مقتضية استحقاق العذاب بوراثة تبعة خطيئة آدم فقـال : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أي من البشر ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾](٢).

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٨٠ .

(٢) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٦/١٥٦–١٥٧.

المبحث الثالث والعشرون : بيان تقريع النصارى وإعلان كذب من كفر منهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (١).

قال محمد الطاهر : [وتقريع النصارى هو المقصود من هذه الآيات كما تقدم عند قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ الآية (٢) فالاستفهام هنا كالاستفهام في قوله تعالى للرسل:﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ ﴾ والله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النصارى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله :﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ يدل على أن الاستفهام متوجه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره مع أن الخبر حاصل لا محالة . فقول قائلين : اتخذوا عيسى وأمه إلهين ، واقع . وإنما ألقي الاستفهام لعيسى أهو الذي قال لهم ذلك تعريضا بالإرهاب والوعيد بتوجه عقوبة ذلك إلى من قال هذا القول إن تنصل منه عيسى فيعلم أحبارهم الذين اخترعوا هذا القول أنهم المراد بذلك . والمعنى أنه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عذر لمن قاله لأنهم زعموا أنهم يتبعون أقوال عيسى وتعاليمه ، فلو كان هو القائل لقال : اتخذوني وأمي ، ولذلك جاء التعبير بهذين اللفظين في الآية . والمراد بالناس أهل دينه ... وجواب عيسى- عليه السلام- بقوله: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ تنزيه لله تعالى عن مضمون تلك المقالة . وكانت المبادرة بتنزيه الله تعالى أهم من تبرئته نفسه ، على أنها مقدمة للتبري لأنه إذا كان ينزه الله عن ذلك فلا جرم أنه لا يأمر به أحدا .... وبرأ نفسه فقال : ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾ فجملة ما يكون لي أن أقول مستأنفة لأنها جواب السؤال . وجملة ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ تمهيد . وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ ﴾ مبالغة في التبرئة من ذلك ، أي ما يوجد لدي قول ما ليس لي بحق ، فاللام في قوله : ﴿ مَا يَكُونُ لِىٓ ﴾ للاستحقاق ، أي ما يوجد حق أن أقول . وذلك أبلغ من لم أقله لأنه نفى أن يوجد استحقاقه ذلك القول .... ثم ارتقى في التبري فقال

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ١١٦- ١١٧ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية : ١٠٩ .

:﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ فالجملة مستأنفة لأنها دليل وحجة لمضمون الجملة التي قبلها ، فكانت كالبيان فلذلك فصلت .... فاستدل على انتفاء أن يقوله بأن الله يعلم أنه لم يقله ، وذلك لأنه يتحقق أنه لم يقله ، فلذلك أحال على علم الله تعالى . وهذا كقول العرب : يعلم الله أني لم أفعل ،كما قال الحارث بن عباد :

لَمْ أكن من جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَأَنِّي لِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

... وبعد أن تبرأ من أن يكون أمر أمته بما اختلقوه انتقل فبين أنه أمرهم بعكس ذلك حسبما أمره الله تعالى فقال ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ ﴾ فقوله : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ارتقاء في الجواب ، فهو استئناف بمترلة الجواب الأول وهو ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ ﴾ إلخ ... صرح هنا بما قاله لأن الاستفهام عن مقاله .... ثم تبرأ من تبعتهم فقال ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أي كنت مشاهدا لهم ورقيبا يمنعهم من أن يقولوا مثل هذه المقالة الشنعاء](١).

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٧/١١٢-١١٦.

المبحث الرابع والعشرون : بيان أن طاعة النصارى لرهبانهم طاعة عمياء تجعلهم في مقام الربوبية في التشريع.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(١).

قال ابن عاشور : [ومعنى اتخاذهم هؤلاء أربابا أن اليهود ادعوا لبعضهم بنوة الله تعالى وذلك تأليه ، وأن النصارى أشد منهم في ذلك إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملتهم مثل صورة مريم ، وصور الحواريين ، وصورة يحيى بن زكرياء ، والسجود من شعار الربوبية ، وكانوا يستنصرون بهم في حروبهم ولا يستنصرون بالله .وهذا حال كثير من طوائفهم وفرقهم ، ولأنهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين ، فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحللون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، وهذا مطرد في جميع أهل الدينين ، ولذلك أفحم به النبي صلى الله عليه وسلم عديا بن حاتم لما وفد عليه قبيل إسلامه لما سمع قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾وقال عدي : لسنا نعبدهم فقال : «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه- فقلت : بلى- قال : فتلك عبادتهم»(٢) فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم فكانت الشناعة لازمة للأمتين ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالهم كما زعم عدي بن حاتم فإن الأمة تؤاخذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته و لم تنكره ، ومعنى اتخاذهم أربابا من دون الله أنهم اتخذوهم أربابا دون أن يفردوا الله بالوحدانية ، وتخصيص المسيح بالذكر لأن تأليه النصارى إياه أشنع وأشهر](٣).

---

(١) سورة التوبة ، الآية :٣١ .

(٢) الطبراني ،سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ، المعجم الكبير ، ٩٢/١٧ حديث رقم ٢١٨.

(٣) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٧٠/١٠.

المبحث الخامس والعشرون : شبهة تفضيل عيسى عليه السلام– على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والردّ عليها.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾(١).

يتشدق بعض النصارى بهذه الشبهة ويلبِّسون بها على بعض المسلمين ، وهي أن عيسى عليه السلام أفضل من نبينا ونبي الناس أجمعين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه ، وزعموا أن التفضيل سببه زواج نبينا بينما عيسى لم يتزوج زهدا في النساء وفي متاع الدنيا ، وعلى هذه القاعدة الفاسدة يكون عيسى أفضل من إبراهيم ونوح وآدم ، وهذا مخالف لما جاء في السنة الصحيحة التي بينت لنا أن خير الناس محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيدهم يوم القيامة وقد روى الإمام مسلم –رحمه الله – في صحيحه بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلة الله عليه وسلم :"أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يوم القيامةِ وأولُ من ينشقّ عنه القبرُ وأولُ شافعٍ وأولُ مُشَفَّعٍ "(٢).

قال ابن عاشور تعليقا على هذه الشبهة :[وهذه شبهة تعرض للسذج أو لأصحاب التمويه ، وقد يموه بها المبشرون من النصارى على ضعفاء الإيمان فيفضلون عيسى– عليه السلام– على محمد صلى الله عليه وسلم بأن عيسى لم يتزوج النساء . وهذا لا يروج على العقلاء لأن تلك بعض الحظوظ المباحة لا تقتضي تفضيلا . وإنما التفاضل في كل عمل بمقادير الكمالات الداخلة في ذلك العمل . ولا يدري أحد الحكمة التي لأجلها لم يتزوج عيسى– عليه السلام– امرأة . وقد كان يحيى– عليه السلام– حصورا فلعل عيسى– عليه السلام– قد كان مثله لأن الله لا يكلفه بما يشق عليه وبما لم يكلف به غيره من الأنبياء والرسل .... وقد كان لأكثر الرسل أزواج ولأكثرهم ذرية مثل نوح وإبراهيم ولوط وموسى وداود وسليمان وغير هؤلاء– عليهم السلام–.

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٨ .

(٢) صحيح مسلم ، باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ١٧٨٢/٤ ، حديث رقم ٢٢٧٨.

والأزواج : جمع زوج ، وهو من مقابلة الجمع بالجمع ، فقد يكون لبعض الرسل زوجة واحدة مثـــل : نوح ولوط– عليهما السلام– ، وقد يكون للبعض عدة زوجات مثل : إبراهيم وموسى وداود وسليمان – عليهم السلام– ولما كان المقصود من الرد هو عدم منافاة اتخاذ الزوجة لصفة الرسالة لم يكن داع إلى تعداد بعضهم زوجات كثيرة](1).

ونستطيع أن نقول أن أول من أثار هذه الشبهة –وهو زواج النبي صلى اللَّه عليه وســـلم – واعتبروهـــا منقصة له هم اليهود .

يقول القرطبي –رحمه الله– :[قيل: إن اليهود عابوا على النبي صلى اللَّه عليه وسلم الأزواج ، وعيرتـــه بذلك وقالوا : ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النـــساء ، فأنزل الله هذه الآية ، وذكرهم أمر داود وسليمان فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ أي جعلناهم بشرا يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا ، وإنما التخصيص في الوحي](2).

(1) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٦٢/١٣–١٦٣.

(2) القرطبي ، مرجع سابق ، ٣٢٧/٩ .

المبحث السادس والعشرون : بيان مترلة عيسى –عليه السلام– الحقيقية.

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(1).

قال ابن عاشور : [أي ذلك المذكور هو عيسى ابن مريم لا كما تزعم النصارى واليهود . والإشارة لتمييز المذكور أكمل تمييز تعريضا بالرد على اليهود والنصارى جميعا ، إذ أنزله اليهود إلى حضيض الجناة ، ورفعه النصارى إلى مقام الإلهية ، وكلاهما مخطئ مبطل ، أي ذلك هو عيسى بالحق ،وأما من تصفونه فليس هو عيسى لأن استحضار الشخص بصفات غير صفاته تبديل لشخصيته ، فلما وصفوه بغير ما هو صفته جعلوا بمترلة من لا يعرفونه فاجتلب اسم الإشارة ليتميز الموصوف أكمل تمييز عند الذين يريدون أن يعرفوه حق معرفته . والمقصود بالتمييز تمييز صفاته الحقيقية عن الصفات الباطلة التي ألصقوها به لا تمييز ذاته عن الذوات إذ ليست ذاته بحاضرة وقت نزول الآية ، أي تلك حقيقة عيسى عليه السلام وصفته ..... ومعنى قول الحق أن تلك الصفات التي سمعتم هي قول الحق ، أي مقول هو الحق وما خالفها باطل ، أو أن عيسى عليه السلام هو قول الحق ، أي مقول الحق ، أي المكون من قول (كن) ، فيكون مصدرا بمعنى اسم المفعول كالخلق في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾(2) وجملة ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ تقرير لمعنى العبودية ، أو تفصيل لمضمون جملة ﴿ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ فتكون بمترلة بدل البعض أو الاشتمال منها ، اكتفاء بإبطال قول النصارى بأن عيسى ابن الله ، لأنه أهم بالإبطال ، إذ هو تقرير لعبودية عيسى وتتريه لله تعالى عما لا يليق بجلال الألوهية من اتخاذ الولد ومن شائبة الشرك ، ولأنه القول الناشئ عن الغلو في التقديس ، فكان فيما ذكر من صفات المدح لعيسى ما قد يقوي شبهتهم فيه بخلاف قول اليهود فقد ظهر بطلانه بما عدد لعيسى من صفات الخير . وصيغة ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ ﴾ تفيد انتفاء الولد عنه تعالى بأبلغ وجه لأن "لام" الجحود تفيد مبالغة

---

(1) سورة مريم ، الآيتان : ٣٤،٣٥ .

(2) سورة لقمان ، من الآية : ١١ .

النفي ، وأنه مما لا يلاقي وجود المنفي عنه ، ولأن في قوله : ﴿أَن يَتَّخِذَ ﴾إشارة إلى أنه لو كان له ولد لكان هو خلقه ، واتخذه فلم يعد أن يكون من جملة مخلوقاته ، فإثبات البنوة له خلف من القول .

وجملة ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ بيان لجملة ما كان لله أن يتخذ من ولد ، لإبطال شبهة النصارى إذ جعلوا تكوين إنسان بأمر التكوين عن غير سبب معتاد دليلا على أن المكون ابن لله تعالى ، فأشارت الآية إلى أن هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين][١].

(١) ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٦/١٠١-١٠٣.

المبحث السابع والعشرون : بيان أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله .

قالَ تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(١) .

قال الطاهر :[اذكر ما يشير إلى قصة جدال ابن الزبعرى (٢) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾(٣) ، وكان سبب جداله هو أن عيسى قد عُبِدَ من دون الله لم يترك الكلام ينقضي دون أن يردف بتقرير عبودية عيسى لهذه المناسبة ، إظهارا لخطلِ رأي الذين ادّعوا إلهيته وعبدوه وهم النصارى حرصا على الاستدلال للحق . وقد قصر عيسى على العبودية على طريقة قصر القلب للرد على الذين زعموه إلها ، أي ما هو إلا عبد لا إله لأن الإلهية تنافي العبودية . ثم كان قوله :﴿ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ إشارة إلى أنه قد فضل بنعمة الرسالة ، أي فليست له خصوصية مزية على بقية الرسل ، وليس تكوينه بدون أب إلا إرهاصا . وأما قوله :﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فهو إبطال لشبهة الذين ألهوه بتوهمهم أن كونه خلق بكلمة من الله يفيد أنه جزء من الله فهو حقيق بالإلهية ، أي كان خلقه في بطن أمه دون أن يقربها ذكر ليكون عبرة عجيبة في بني إسرائيل لأنهم كانوا قد ضعف إيمانهم بالغيب وبعد عهدهم بإرسال الرسل فبعث الله عيسى مجددا للإيمان بينهم ، ومبرهنا بمعجزاته على عظم قدرة الله ، ومعيدا لتشريف الله بني إسرائيل إذ جعل فيهم أنبياء ليكون ذلك سببا لقوة الإيمان فيهم ، ومظهرا لفضيلة أهل الفضل الذين آمنوا به ولعناد الذين منعهم الدفع عن حرمتهم من الاعتراف بمعجزاته فناصبوه العداء وسعوا للتنكيل به وقتله فعصمه الله منهم ورفعه من بينهم فاهتدى به أقوام وافتتن به آخرون . فالمثل هنا بمعنى العبرة](٤).

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩ .

(٢) عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه " حسان " أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فأمر لــه بحلــة ، توفي نحو ١٥ هــ (الأعلام للزركلي ٨٧/٤).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٨ .

(٤) ابن عاشور ، مرجع سابق . ٢٤٠/٢٥- ٢٤١ .

وقد ذكر القرطبي قولان في من هو المقصود في هذه الآية ، أهو عيسى عليه السلام ؟ أم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ لكن رجح الأول لأنه الأظهر .

فقال : [قوله تعالى :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي ما عيسى إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة ، وجعله مثلا لبني إسرائيل ، أي آية وعبرة يستدل بها على قدرة الله تعالى ، فإن عيسى كان من غير أب ، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه ، مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق وأحبه إلى الله عز وجل ، والناس دونهم ، ليس أحد عند الله عز وجل مثلهم . وقيل : المراد بالعبد المنعم عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر](1).

في نهاية هذا الفصل أكون – وبحمد الله – قد أنهيت ما وقع عليه نظري ، وما استطاع جهدي وبحثي إليه سبيلا في تقصي ردود الإمام ابن عاشور في تفسيره على شبهات النصارى وما زعموا وكذبوا به على الله ورسله .

(1) القرطبي ، مرجع سابق ، ١٦/١٠٣-١٠٤ .

الـخـاتـمـة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

الـــخـــاتـــمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله الذي وفق وهدى ، الحمد لله الـــذي يـــسر وعفـــا ، الحمد لله حمدا كثيرا كما يحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله الطيبين الشرفا ، وعلى صحابته الأطهار النجبا ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد ، أما بعد :

فها هي خاتمة هذا البحث الذي أمضيت فيه أياما وشهورا ، أجدُّ فيه حينا ويغمرني الكـــسل أحيانـــا ، وأهرول مرة وأجر الخطى مرات ، أجد يوما في نفسي عزما كبيرا ويصيبني في أيام فتورا عظيما ، ومـــا أُوتيت –والله– إلا من قبل نفـــسي ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾(١) فالحمد لله الذي جعل المصائب كفارة لسيئاتنا ويعفو عن كثير مما عملته أيدينا.

في هذه الخاتمة أذكر ما توصلت إليه من نتائج استنتجتها من هذا البحث أجملها بالتالي:

أولا : عند قراءتي لهذا السفر العظيم [التَّحريرُ والتَّنوير] أثناء جمعي لمادة البحث(٢)، تـــبين لي أن هـــذا الكتاب من أعظم الكتب التي ألفت في مجال التفسير خاصة في هذا العصر.

ثانيا : أجد أن هذا التفسير لم يأخذ مكانه اللائق به في المكتبات العلمية حتى الآن وذلك بـــالنظر فيمـــا حواه من علوم ومعارف يستفيد منها المبتدئ والمنتهي ممن رام العلم والتعلم .وأجد أنه من المفتـــرض أن لا يخلو بيت قارئ –فضلا عن طالب علم– منه.

ثالثا : رغم أن المؤلف أمضى في تأليفه وجمعه لهذا الكتاب مدة تزيد على التسعة والثلاثين عاما حيـــث كانت البداية في سنة ١٣٤١هــ وكان الفراغ في سنة ١٣٨٠هــ إلا أنك ترى أن النفس فيه من أوله إلى آخره على نسق واحد وكأنما ألفه في يوم واحد.

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٣٠ .

(٢) قرأتُ صفحاتٍ كثيرة من الكتاب أثناء البحث والتنقيب لجمع مادة الموضوع ، ولكني لم أقرأه كاملاً .

رابعا : لقد سلك المؤلف في تفسيره منهجا عظيما ، فجاء محتويا على مزايا عديدة ، تضمن من العلوم الكثيرة والفوائد الغزيرة ، فقد بذل فيه من الوسع والجهد ما يتجلى للقارئ حين قراءته لهذا التفسير ، فقد استجمع لهذا الجهد قوتاه العلمية والعقلية ، وخبراته التربوية ونظراته الإصلاحية.

خامسا : تبين لي من خلال جمع ردود ابن عاشور على شبهات النصارى سعة اطلاعه على كتب أهل الكتاب ، وإنك لتظن أنه يحفظها عن ظهر قلب ، فكثيرا ما يورد نصوصا من الأناجيل المختلفة مستخدما إياها للرد عليهم وتبيين تحريفهم وتزييفهم للحقائق.

سادسا : للشيخ ذكاء ودهاء في استنباط الرد على شبهات النصارى من خلال الآيات الكريمات ، ومن خلال ما فتح الله عليه من الفهم والتحليل.

سابعا : الكتاب من الكتب العظيمة القيمة –كما أسلفت- ولكن يبقى أنه جهد وعمل بشري لا يخلو من الخلل والزلل والنقص ، ولم يخلو من ذلك كله إلا كتاب ربنا عزوجل -القرآن الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثامنا : أنصح من يريد القراءة في هذا الكتاب أن يطلع قبل ذلك على كتاب فضيلة الشيخ الدكتور محمد الحمد "التقريب لتفسير التحرير والتنوير" فهو كما قال تقريب لذلك الكتاب الكبير.

وبعد ذلك أوصي إخواني الباحثين باختيار موضوعات لبحوثهم من خلال هذا الكتاب [التَّحرير والتَّنوير] فهناك الكثير من الموضوعات التي تحتاج إلى بحث وتحقيق في مجال التفسير وعلوم القرآن ، فالمؤلف أودع في مؤلفه هذا الكثير من العلوم والمعارف والفنون.

هذا والله أعلم وأحكم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهـــرس الآيات

الآيـــــــة	الصفحة
﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٨
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٠
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٣٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ .... ﴾	٤١
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾	٤٤
﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٤٤
﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾	٤٨
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾	٤٩
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ... ﴾	٥٣
﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾	٥٣
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ... ﴾	٥٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ... ﴾	٥٤
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾	٥٤
﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	٥٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ... ﴾	٥٥
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ... ﴾	٥٩
﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾	٦١
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٦٢
﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾	٦٣

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ ... ﴾ ٦٥

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ... ﴾ ٦٨

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ ... ﴾ ٦٨

﴿ ... وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ... ﴾ ٧٠

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ٧٠

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ٧٢

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٧٤

﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ ... ﴾ ٧٤

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ... ﴾ ٧٦

﴿ ...ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٧٦

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ ... ﴾ ٧٨

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ ٧٨

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ... ﴾ ٧٩

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٨١

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ... ﴾ ٨٢

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ٨٢

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٨٤

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ... ﴾ ٨٦

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ ... ﴾ ٨٧

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ ... ﴾ ٨٩

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ٩١

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ٩١

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ . ﴾ ٩١

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٩٣

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ... ﴾ ٩٤

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ... ﴾ ٩٦

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ... ﴾ ٩٨

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ ... ﴾ ١٠٠

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ... ﴾ ١٠٠

﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ... ﴾ ١٠١

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ... ﴾ ١٠٣

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ ... ﴾ ١٠٤

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ ... ﴾ ١٠٦

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ ١٠٨

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ ... ﴾ ١٠٩

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ١١١

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ١١٣

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ ١١٣

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ ١١٦

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم [**مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي**] إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، **معجم مقاييس اللغة** ، بيروت : دار الفكر.

٣- الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ، بيروت : المكتبة العصرية.

٤- الجوهري ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ١٩٩٠م ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٤.

٥- الغالي ، بلقاسم الغالي ، ١٩٩٦م ، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وآثاره** ، بيروت : دار ابن حزم ، ط١.

٦- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ، ٢٠٠٢م ، **الأعلام** ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط١٤.

٧- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، **سنن أبي داود** ، بيروت : دار الفكر.

٨- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب ، **المعجم الكبير** ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م ، الموصل : مكتبة العلوم والحكم ، ط٢.

٩- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، **المحرر الوجيز** ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١.

١٠- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، **زاد المسير** ، ١٤٠٤هـ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط٣.

١١- ابن سعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م ، الرياض : مؤسسة الرسالة ، ط١.

١٢- الحمد ، محمد بن إبراهيم ، **التقريب لتفسير التحرير والتنوير** ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ، الرياض : دار ابن خزيمة ، ط١.

١٣- القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ط٢.

١٤- الأزهري ، محمد بن أحمد ، **تهذيب اللغة** ، ٢٠٠١م ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط١.

١٥- الإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، **صحيح البخاري** ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، القاهرة : دار الشعب ، ط١.

١٦- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، **مفتاح دار السعادة** ، بيروت : دار الكتب العلمية.

١٧- الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، **جامع البيان** ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ، الرياض : مؤسسة الرسالة ، ط١.

١٨- الطرهوني ، محمد بن رزق ، **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا** ، ١٤٢٦هـ ، الرياض : دار ابن الجوزي ، ط١.

١٩- محفوظ ، محمد بن محفوظ ، **تراجم المؤلفين التونسيين** ، ١٩٨٥م ، دار الغرب الإسلامي.

٢٠- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، **لسان العرب** ، بيروت : دار صادر ، ط١.

٢١- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع.

٢٢- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، **مقاصد الشريعة** ، ١٩٩٩م ، بيروت : دار النفائس ، ط١.

٢٣- الإمام مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، **صحيح مسلم** ، بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٢٤- مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

المراجع الإلكترونية

كتبٌ رجعتُ إليها في برنامج المكتبة الشاملة ، الإصدار ٣،٢٨ :

١- الطباع ، خالد الطباع ، **محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله ، والتفسير وعلومه .**

٢- ابن الخوجة ، محمد بن الحبيب ، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور.**

٣- الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط .**

٤- ابن حميدة ، المهدي بن حميدة ، **الشيخ محمد بن عاشور رائد الفكر الإسلامي .**

٥- صليبا ، كمال صليبا ، **المعجم الفلسفي .**

المواقع الإلكترونية :

١- موقع موسوعة ويكيبيديا الإلكتروني.

٢- المصري ، جمال المصري ، **حاضر العالم الإسلامي .**

فهرس الموضوعات

" تمَّ ولله الحَمْدُ والمنَّةُ "